الجمهوريـة الجزائـريـة الديمقراطيـة الشعبيـة
République Algérienne Démocratique et Populaire
وزارة التعليـم العالـي والبحـث العلمـي
Ministère de l'Enseignement Supérieur et de la Recherche Scientifique

المركز الجامعي عبد الحفيظ بوالصوف –ميلة-
معهد الآداب واللغات
قسم اللغة والأدب العربي

المرجع: ...../2016

ملامح السيرة الذاتية في كتاب "واسطة السلوك في سياسة الملوك" لأبي حمو موسى الزياني الثاني

مذكرة معدة استكمالا لمتطلبات نيل شهادة الماستر

الشعبة: أدب عربي

التخصص: أدب عربي قديم

إعداد الطالب(ة):
جوامبـي كنـزة

إشراف :
د. زهيـرة بوزيـدي

السنة الجامعية: **2016/2015**

بسم الله الرحمن الرحيم

دعـــاء

قال الله تعالى

" يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات"

اللهم ارزقنا توفيق الطاعة بعد المعصية، وصدق النية وأكرمنا بالهدى والاستقامة وسدد ألسنتنا بالصواب والحكمة واملأ قلوبنا بالعلم والمعرفة، اللهم تفضل على علمائنا بالزهد والنصيحة وعلى المتعلمين بالجهد والرغبة والمستعملين بالإتباع والموعظة.

يا رب لا تدعني أصاب بالغرور إذا نجحت ولا باليأس إذا فشلت بل ذكرني دائما بأن الفشل هو التجارب التي تسبق النجاح

يا رب إذا أعطيتني نجاحا لا تفقدني تواضعي وإذا أعطيتني تواضعا لا تفقدني اعتزازي بكرامتي

شكر

الحمد لله الذي أتم علينا نعمة العقل والتمييز بين الخطأ والصواب حمدا

وشكرا ينبغي لجلال وجهه العظيم وسلطانه والصلاة والسلام على أشرف خلق الله

على الهادي البشير خير الأنبياء سيدنا ونبينا محمد صلى الله عليه وسلم

أما بعد...

نتوجه بالشكر والتقدير والعرفان إلى من بسط لنا يد العون والمساعدة الأستاذة

" زهيـــرة بوزيـــدي "

التي كانت لا تبخل علينا بتوجيهاتها القيمة وتشجيعاتها القوية ومساعدتها التي

كانت لنا دعما قويا طيلة إنجاز هذا البحث.

ونشكر كل من قدم لنا يد العون من قريب أو من بعيد

خاصة الأستاذ **" مسعود بن ساري"**

مقدمـــــــة

اهـتم البـاحثون و النقـاد بتتبـع الفنـون الأدبيـة و رصـدها منـذ القـدم، و فـي ثنايـا هـذه الفنـون، وجـدنا فـن السـيرة الذاتيـة التـي بـالرغم مـن رسـوخ جـذورها فـي تـاريخ الأدب العربي، إلا أنا لا نجد دراسات مختلفة حول هذا الفن.

أردنـا فـي بحثنـا هـذا أن نثبـت شـرعية السـيرة الذاتيـة، و أنهـا موجـودة منـذ القـدم، و أن لهـا ملامـح و خصـائص كسـائر الفنـون الأخـرى، باعتبـار أن هـذا النـوع مـن الأدب يمثـل صـورة التجربـة الحيـة و الصـادقة التـي لعبتهـا الشخصـية الكاتبـة، المكوّنـة لأدب مرتبط بحضارات مختلفة.

وقد تنوعت أسباب اختيارنا لهذا البحث بين ذاتية وموضوعية منها:

- ضآلة الدراسات التي تناولت هذا الأدب.
- رغبـة منـا فـي إماطـة السـتار عـن فـن السـيرة الذاتيـة ومحاولـة التعـرف علـى تجـارب و سير الآخرين من خلال أعمالهم الأدبية.
- ميلنا للفنون النثرية التي تمثل سيرة الشعوب وحضاراتها.
- إفادة المكتبة بدراسات جديدة تخدم ميدان الأدب السلطاني.
- التعـرف علـى الجانـب الخفـي مـن حيـاة الملـوك و الـذّي كشـفته سـيرهم المخلـدة نثـرا أو شعرا.

ولهـذا الموضـوع أهميـة بالغـة فهـو ينقـل تجـارب الآخـرين ويبـرز مقـدرتهم الفنيـة، إضـافة إلـى أهميـة كتـاب "واسـطة السـلوك" هـذا الكتـاب المميـز الـذي يحمـل فـي ثنايـاه شعرا ونثرا معا كما يعد من كتب الآداب السلطانية.

والإشـكال الـذي يطـرح نفسـه هنـا هـو: هـل السـيرة الذاتيـة ظـاهرة قديمـة فـي أدبنـا العربـي؟ و هـل لهـا ضـوابط و شـروط تحكمهـا؟ و كيـف تجسـدت هـذه السـيرة السـلطانية في كتاب "واسطة السلوك في سياسة الملوك" لأبي حمو موسى الزياني؟.

و قد كان المنهج التاريخي هو مرافقنا في دراستنا، فهو الأنسب لهذه الدراسة نظرا لما في هذا المنهج من مرونة تتماشى و روح الأدب التوثيقية، كما تتبعنا بنية ملمح الأنا أسلوبيا بتحليل وإحصاء معطياته التركيبية من ضمائر ومعاني فسّرت هذا الانتماء الشخصي للحدود الأدبية المفروضة.

تقيدنا في دراستنا هذه بخطة محكمة، قسمناها إلى مقدمة، و مدخل و فصلين، الأول نظري، و الثاني تطبيقي و خاتمة.

تناولنا في المقدمة إشكالية البحث، و المنهج الذي تتبعناه في دراستنا. أما المدخل المعنون"السيرة الذاتية(ذاكرة المصطلح)" تحدثنا فيه عن إشكالية مصطلح السيرة الذاتية، ثم الأصول الأولى لتسمية السيرة الذاتية، و أخيرا نشأة السيرة الذاتية و تطورها.

انتقلنا بعده إلى الفصل الأول الموسوم"بمفاهيم السيرة الذاتية" التي تضم السيرة الذاتية في الأدب العربي القديم، ودوافع كتابة السيرة الذاتية و شروطها وخصائصها، و في ختام هذا الفصل تحدثنا عن أشكال السيرة الذاتية والأدب السلطاني.

والفصل الثاني التطبيقي الذي أدرجناه تحت عنوان « تجليات الذات في كتاب "واسطة السلوك في سياسة الملوك" »، تطرقنا فيه إلى سيرة "أبو حمو"، وملخص الكتاب، ومعاني الحضور داخل النص.

واعتمدنا في بحثنا هذا على مجموعة من المصادر و المراجع لعل أهمها: مصدر الدراسة الأساسي "واسطة السلوك في سياسة الملوك" و "فن السيرة" لإحسان عباس، و غيرها من المؤلفات.

كمـا ذيلنـا هـذا البحـث بخاتمـة، كانـت عبـارة عـن حوصـلة لأهـم النتـائج التـي تحصلنا عليها.

و هـذا البحـث كـأي بحـث آخـر لـم يخـل مـن الصـعوبات، لكـن مـن المجحـف أن نـتكلم عـن أمـور لا تـتم متعـة البحـث إلا بهـا، إلا فيمـا يخـص الوقـت الممنـوح الـذي ضاق كلما اتسعت رؤية الدراسة فضاقت العبارة وقيد المعنى.

و فـي الختـام نقـدم الشـكر الجزيـل للأسـتاذة المشـرفة، والتـي دعمـت هـذا البحـث بالنصـائح و التوجيهـات، فكانـت نعـم المرشـدة، فالشـكر الخـالص لهـا وجزاهـا الله عنـا كل الجزاء، و لكل من قدم العون و المساعدة من قريب أو من بعيد.

مدخل: السيرة الذاتية(ذاكرة المصطلح)

أولا: إشكالية مصطلح السيرة الذاتية.

أ- لغة

ب- إصطلاحا

ثانيا: الأصول الأولى لتسمية السيرة الذاتية.

1-الأخبار(المرويات)

2-المغازي

3-الحديث

4-البرنامج

5-الفهرست

6-المناقب(الفضائل)

ثالثا: نشأة السيرة الذاتية وتطورها.

أولا:إشكالية مصطلح السيرة الذاتية:

أ- لغة:

تعد السيرة من المصطلحات المهمة التي وردت في المعاجم العربية، والسيرة مشتقة من الفعل العربي سار.

نجد في لسان العرب:« سار الشيء وسيرته فعمّ، والسيرة هي الطريقة، يقال: سار بهم وسيْرة حسنة، والسيرة الهيئة»[1].

وجاء في القاموس المحيط:« السيرة بالكسرة السنة والطريقة والهيئة، وسيرة: أي جاء بأحاديث الأوائل »[2].

تبين لنا من خلال هذين التعريفين اللغويين أن " السيرة "جاءت بمعنى السنة والطريقة، التي يخطها المؤلف أو(كاتب السيرة) بقلمه لإرشاد وإفادة المتلقي.

ب- إصطلاحا:

تعدّدت مفاهيم السيرة الذاتية AUTOBIOGRAPHY لكثرة التعريفات التي وضعها الباحثون والعلماء.

يقول إحسان عباس: « السيرة الذاتية حديث عن النفس يتبناه الأديب أو الفنان »[3].

---

[1]- محمد بن منظور الإفريقي المصري،" لسان العرب"، درا صبح وادي سوفت، بيروت، لبنان، ط1، مادة سار، ص427.

[2]- مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز أبادي، " القاموس المحيط "، تح مكتبة التراث في مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 2005، باب السين، ص412.

[3]- إحسان عباس، " فن السيرة "، دار صادر بيروت، دار الشروق عمان، ط1، 1996، ص91.

عرفهـا الغامـدي بقولـه:« تسـجيل اسـتعادي صـادق ومقصـود لعمـر مـن الخبـرات والأفعال والتفاعلات، وتأثيراتها الفورية والبعيدة المدى على الشخص»[1].

وجبـور عبـد النـور فـي معجمـه الأدبـي عـرض لنـا تعريـف للسـيرة الذاتيـة:« هـي كتاب يروي حياة المؤلف بقلمه »[2].

ومـن البـاحثين الأجانـب نجـد فيليـب لوجـون يقـول:« هـي حكـي إسـتعادي نثـري يقـوم بـه شـخص واقعـي عـن وجـوده الخـاص، وذلـك عنـدما يركـز علـى حياتـه الفرديـة وعلى تاريخ شخصيته بصفة خاصة»[3].

كـل هـذه التعريفـات تتلاقـى وتتقـاطع مـع بعضـها الـبعض، وتصـب فـي قالـب واحـد هـو أن السـيرة عمـل أدبـي يجمـع فيهـا بـين التحـري التـاريخي، والإيقـاع القصصـي، إذن هـي أن يكتـب المـرء بنفسـه تـاريخ حياته،يسـجل كـل حوادثـه وأخبـاره، ومـا وقـع لـه مـن أحداث مهمة ، ويسرد أعماله وآثاره.

---

[1]– صالح معيض الغامدي،" السيرة الذاتية في الأدب العربي القديم "، نحو تأطير جنس أدبي، علامات ج14 (1415–1994)، ص57.

[2]- سيد إبراهيم آرمن،" السيرة الذاتية وملامحها في الأدب العربي المعاصر"، تر وتق عمر حلي، بيروت، الدار البيضاء، المركز الثقافي العربي، 1994، ص22.

[3]– فيليـب لوجـون،" السـيرة الذاتيـة ، الميثـاق والتـاريخ الأدبـي "، تـر وتـق عمـر حلـي، بيـروت، الـدار البيضـاء، المركز الثقافي العربي 1994، ص22.

ثانيا: الأصول الأولى لتسمية السيرة الذاتية:

ارتبطت تسمية السيرة الذاتية في بدايتها بمجموعة من الأسماء المختلفة التي أطلقت عليها منذ القديم، وهذه الأسماء هي:

1-الأخبار(المرويات):

اتسمت بالطابع الشفوي في العصر الجاهلي، كان يتم فيها نقل خبر ما أو قصيدة ما مرفقة بمعلومات تخص الشاعر ومناسبة كتابته للقصيدة، أين« مارس العرب في أزمنتهم الجاهلية نمطا من السيرة الشفوية على شكل روايات قصيرة أطلق عليها الأخبار»[1]. أي أن هذه الأخبار عبارة عن تقارير تنظم حول أخبار شخص ما بالحديث عن نفسه ونسبه وما خلفه من آثار.

2-المغازي:

مصطلح المغازي يعنى به الغزوات التي قام بها الرسول صلى الله عليه وسلم والتي شهد لها التاريخ، وفي أصلها هي: « تلك النبذ التاريخية والحملات المبكرة للجماعة الإسلامية في حياة النبي صلى الله عليه وسلم»[2] ، هذا النوع يقص قصص مغامرات الحياة التي خاضها النبي عليه السلام وأصحابه.

3-الحديث:

ارتبط هذا المصطلح بأخبار السنة النبوية من أقوال وأفعال النبي صلى الله عليه وسلم، وهو ما يطلق عليه بالحديث النبوي،« ففي القرن السابع هجري صارت

---

[1]- دوايت راينولدز،" ترجمة النفس، السيرة الذاتية في الادب العربي "، تر سعيد الغانمي، هيئة ابو ظبي للثقافة والتراث، ط1،1430هـ- 2009م، ص61.

[2]- المرجع نفسه، ص392.

أخبـار سـنة النبـي تجمـع وتـنظم فـي سـرد متتـابع »[1] ؛وهـو عبـارة عـن خبـر أو حكـم نتج عن النبي حفظا ونقلا مع الإسناد.

4-البرنامج:

أسـتعمل هـذا المصـطلح بمعنـى سـيرة الحيـاة، هـذا الاسـتعمال اخـتص بفتـرات ومنـاطق محـددة، نجـده بكثـرة فـي إسـبانيا الإسـلامية مـن القـرن الثـامن حتـى القـرن الخامس عشر.

5- الفهرست:

يعد كدليل أو كتاب مرجعي يحمل في طياته أخبار مختلفة عن رجال السياسة أو الدين أو الفلسفة...« انحصر استعمال الفهرست بالإشارة إلى السيرة أو السيرة الذاتية في شمال إفريقيا وبالذات في السياقات الصوفية »[2] ، هذه الفهرست تسرد أعمال كتبها المؤلف نفسه.

6-المناقب(الفضائل):

يرتبط هذا المصطلح بالشخصيات الروحية وسيرهم، عبارة عن تمثيل لصراع روحي بين النفس والروح والفكر وجهادها، في هذه المناقب نجد حديث عن أشخاص لهم علاقة بالدين « أين ركزت الأكثرية الكبرى، ولاسيما في القرون المتأخرة على الشخصيات الدينية»[3] يتحدثون عن سيرة الرجل الديني من الميلاد حتى الموت متتبعين جل أعماله الفاضلة وما قام به من أعمال صالحة.

جميع هذه المصطلحات مهدت لنمو وتطور مصطلح السيرة واحتوائه لمصطلح آخر وهو" السيرة الذاتية".

---

[1] – المرجع السابق، ص63.

[2] – المرجع نفسه، ص64.

[3] – المرجع نفسه، ص5.

ثالثا: نشأة السيرة الذاتية وتطورها:

لكل فن أدبي مراحل يمر بها من أجل نضجه وكماله، ونحن عندما نبدأ في بحثنا لابد لنا من أن نمر على نشأة هذا الفن وكيف تبلور عبر التاريخ.

هناك من الأمم الذين لم يهتموا بالتاريخ، ولا برجاله، إذ اعتبروهم مثلهم مثل أي شخص عادي قاموا بدفنه ولم يحاولوا حتى البحث في حياته، ولم يتأكدوا هل هذه الشخصية تاريخية أم خرافية؟ « لم يحدثنا سقراط نفسه عن حياته الذاتية بشيء ذي قيمة»[1]، أي إهمال للأحداث المهمة التاريخية .

من جهة أخرى نجد أمم تهتم بتاريخ بلادها وكتّابه، تبحث في ماضي وحاضر رجالها، تكتب سيرهم على الجدران وأوراق البردي من أجل الحفاظ على تاريخها.

هذا الاختلاف حول الاهتمام بالتاريخ تولد لنتيجة مفادها أن: «الحس التاريخي هو الأدب المنجب للسير يوم كانت السير جزءا من التاريخ»[2].

من خلال هذا التقديم البسيط نستنتج أن السيرة الذاتية نشأة وترعرعت في كنف التاريخ، يقول إبن الجوزي: «إن التاريخ ليس إلا مجموعة متنوعة من السير»[3]، وخير دليل على ارتباط نشأة السيرة بالتاريخ هو القرآن الكريم الذي رسخ في قلوب العرب حب التاريخ وتتبعه والإحساس به بدءا من تسجيل سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم باعتبارها جزءا من السنة (السيرة بمعناها اللغوي) والاهتداء بأقواله وأعماله عليه السلام، إضافة إلى تدوين مغازي ومناقب الرسول بدافع النزعة الأخلاقية.

---

[1]– إحسان عباس، " فن السيرة "، ص9.

[2]– المرجع نفسه، ص10.

[3]– ينظر، المرجع نفسه، ص11.

« وقد عرف العرب فن السيرة، وأول ما عرفوه عن السيرة النبوية، فقد تناولت سيرته صلى الله عليه وسلم، التأريخ لأفعاله وأقواله ومغازيه، وقد ظلت السيرة عصورا يقتصر استعمالها على بيان حال الرسول صلى الله عليه وسلم ثم تطور الاستعمال في عصور تالية»[1]، السير هنا ارتبطت بداية بالاستخدام المتواصل لسيرة النبي عليه السلام.

يقول إحسان عباس: «كلما كانت السيرة تعرض للفرد في نطاق المجتمع وتعرض أعماله متصلة بالأحداث العامة أو منعكسة منها أو متأثرة بها فإن السيرة؟ في هذا الوضع؟ تحقق غاية تاريخية، وكلما كانت السيرة تجتزئ بالفرد، وتفصله عن مجتمعه وتجعله الحقيقة الوحيدة الكبرى، وتنظر على كل ما يصدر عنه نظرة مستقلة،فإن صلتها بالتاريخ تكون واهية ضعيفة»[2]، هنا تشديد على مدى العلاقة الرابطة بين السيرة والتاريخ عندما يكون المؤلف متصل بمجتمعه تربطه علاقة حميمة مع الأفراد الآخرين ومدى ضعف هذه العلاقة حين يبتعد المؤلف عن مجتمعه وتمجيده هو لوحده .

السيرة الذاتية كلمة نحتت في القرن العشرين عند العرب واستخدمت لترجمة المفهوم الغربي عن " الأتوبيوغرافيا ".

كثر ربط نشأة السيرة الذاتية بالغرب، إذا كان بعض مؤرخي هذه الجنس الأدبي في التراث الغربي، يعتقدون أن السيرة الذاتية هي امتداد طبيعي لمبدأ الاعتراف الكنيسي في التقاليد المسيحية، « وقد كانت السيرة الذاتية شكلا من أشكال التعبير تختص به الثقافة الغربية، فالأسباب التي أباحت ظهور هذا الجنس الأدبي هي أسباب دينية واجتماعية تتصل بالمجتمع الغربي، ذلك أن محاسبة النفس والإيمان بالأخوة بين البشر، وتساوي النفوس كلها في القيمة التي تدعو إليها المسيحية سهلت ظهور بعض السير الدينية الشهيرة في القرنين

[1]– شعبان عبد الحكيم،" السيرة الذاتية في الأدب العربي الحديث"، الوراق للنشر والتوزيع عمان، ط1، 2015، ص28–29، نقلا عن يحي عبد الدايم،" الترجمة الذاتية في الأدب العربي الحديث "، ص31.

[2]– إحسان عباس،" فن السيرة"،ص11.

السابع عشر والثامن عشر الميلاديين»[1] ، وبما أن السيرة الذاتية عند الغرب بدأت كاعترافات في الكنيسة، هذه الاعترافات يمكن أن تكون أخطاء وخطايا قام بها إنسان، يقصد منها تحذير من الوقوع فيها.

بيّن **محمد الباردي** من خلال أبحاثه أن أول من استخدم مصطلح السيرة الذاتية هو الشاعر الانجليزي "روبارسون ماي " في مقال له صدر عام 1809م لكن هناك من يرجع أسبقية استعمال هذا المصطلح للألماني " فريدريك شليفل" عام 1798م « لم يعرف هذا الجنس الأدبي التطور الرئيسي في أوروبا إلا في القرن الثامن عشر، حين كتب جان جاك روسو اعترافاته ما بين سنة 1764م–1770م فولد معها أدب السيرة الذاتية بمعناها الحديث»[2].

هذا الفن لم يبق تحت عباءة الكنيسة والاعترافات، بل تطور بداية من القرن الثامن عشر مع أعمال جان جاك روسو، إلى القرن التاسع عشر الذي شهد تطورا سريعا لهذا الجنس، عرف هذا القرن ب: " قرن التاريخ" من أعمال القرن التاسع عشر والقرن العشرين نجد:ميشيل ليريز الذي كتب سيرته في أربعة أجزاء تحت عنوان" قواعد اللعبة"، وسارتر الذي كتب سيرته تحت عنوان" الكلمات" سنة 1964، كما يعد أندريه مورا من أفضل الذين ساهموا في دفع عجلة فن السيرة الذاتية خلال القرن العشرين" فن التراجم والسير الذاتية ".

يرى الباحث حسونة المصباحي أن مؤرخ الأدب قد أجمعوا على أن فن السيرة غربي المنشأ يقول: « إن السيرة الذاتية إنما ظهرت أساسا في أوروبا الغربية وهي منطقة تأثيرها(...)، وحسب قاموس لاروس الفرنسي يرتبط ظهور هذا الفن الذي يصفه أساسا بالحضارات المسيحية وصعود الفردانية وبالوعي وبالتاريخية في أوروبا منذ عصر النهضة،

[1]– محمد الباردي،" عندما تتكلم الذات، السيرة الذاتية في الأدب العربي الحديث"، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2005، ص15.

[2]– أندريه مورا،" فن التراجم والسير الذاتية"، تر تق تع أحمد درويش، المجلس الأعلى للثقافة، 1999، ص8.

وأيضا بانتشار الكتاب ومحو الأمية، وإذا ما تأملنا الثقافة العربية في مختلف أطوارها فإننا نتبين دون بذل جهد كبير أن النماذج التي يمكن أن تميل إلى هذا الفن فن السيرة الذاتية نادرة ندرة الماء في صحراء الربع الخالي»[1].

هذا الحكم ليس بالحكم القاطع الجازم، فالقرن التاسع عشر يعد صحوة أدبية للعالم العربي، أين بدأت السيرة الذاتية تتبلور في أعمال الكتاب العرب حيث ارتبط تطورها عند العرب بعصر النهضة الأوروبية واحتكاكها بالغرب، « بداية ظهور السيرة الذاتية في الأدب العربي تؤرخ بدخول مصر والدول العربية في دور حضارة جديدة، إذ بدأت اتصالها بالغرب منذ أن أفاقت من سباتها حين احتكت بالفرنسيين وقت دخولهم مصر»[2] ، ونمو الذات العربية ونضجها ارتبط عموما بالنهضة الحضارية، إذ ظهرت أعمال سيرية في ظل الحضارة العربية. « ولما كانت السيرة الذاتية ظاهرة ارتبطت بنشوء المدن الكبرى ونمو الطبقات الوسطى وهيمنة أنماط العمل المهني والوظيفي المعتمد على الكفاءة الفردية، وبتعمق الفكر الليبيرالي والنظم الديمقراطية المنبثقة عنه(....) وكلها عوامل مرتبطة تعلي من شأن الذات الفردية»[3]، فكلما تتطور الحضارة وتزدهر يتطور معها الفكر الإنساني ويزدهر ويكوّن أعمال مرتبطة بهذا التطور.

من خلال هذا الحديث نجد أن هناك سيرة عربية نشأة عربيا، بصرف النظر على أن هذا الفن كان غربي المنشئ، فما يهمّنا أن هذا الأدب أخذ رواجا متميزا في الأدب العربي

---

[1]– حسونة المصباحي، مجلة فصول الهيئة المصرية العامة للكتاب، المجلد السادس عشر، ع1، ربيع 1998، د ص.

[2]– أمل التميمي، " السيرة الذاتية النسائية في الأدب العربي المعاصر " المركز الثقافي العربي الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2005، ص29، نقلا عن يحي إبراهيم عبد الدايم، الترجمة الذاتية في الأدب العربي الحديث،ص43.

[3]– المرجع نفسه ص61، نقلا عن معجب الزهراني، "مدخل نظري عام عن السيرة الذاتية في موسوعة الأدب العربي السعودي الحديث"، ص14.

شـأنه شـأن الأجنـاس الأدبيـة الأخـرى التـي جاءتنـا مـن الغـرب وازدهـرت ازدهـارا متميـزا فـي المجتمع العربي.

الفصل الأول: مفاهيم السيرة الذاتية

أولا: السيرة الذاتية في الأدب العربي القديم

ثانيا: دوافع كتابة السيرة الذاتية

1- اللذة الفنية المتمثلة في فعل الكتابة

2- دافع النرجسية

ثالثا: شروط كتابة السيرة الذاتية

1- تميز صاحب السيرة الذاتية

2- عدم الالتزام بسنن معينة عند الكتابة

3- أن يكون للسيرة بناء واضح المعالم

4- تواجد الصراع في السيرة الذاتية

5- محاولة الصدق والأمانة

رابعا: الخصائص الفنية للسيرة الذاتية

1- العناصر المنتمية لداخل النص

أ- ضمير المتكلم (أنا المؤلف الحقيقي، أنا السارد)

ب- ضمير الغائب (هو المؤلف، هو السارد)

ج- ضمير المخاطب

2- العناصر المنتمية لخارج النص

خامسا: أشكال السيرة الذاتية:

1- الشكل المقالي

2- الشكل التأريخي

3- الشكل الروائي

سادسا: في الأدب السلطاني

1-نظرة عامة حول هذا الأدب

2-شرعية المصطلح (الأدب السلطاني)

أولا: السيرة الذاتية في الأدب العربي القديم:

يتبادر إلى ذهن الباحث في مجال السيرة الذاتية العربية السؤال التالي:

هل هناك سيرة ذاتية عربية أصيلة في التراث العربي؟ وهل ثمة أصول لقيام هذا الجنس؟

من الباحثين الذين أحاطوا بهذا الأمر الدكتور "إحسان عباس" في كتابه «فن السيرة»، أين فصل في الحديث عن السيرة الذاتية في التراث رابطا إياها بالتاريخ، فعرض السيرة الذاتية التاريخية لقوله: « ظلت تمثل أقوى نوع من السير عند المسلمين، أما السيرة ذات الطابع الأدبي فقد بقيت مهملة لم تعالجها الأقلام، وإن المرء ليؤسفه أن يمضي عن كتاب كبار من ذوي الإحساس الدقيق بالشخصيات والأحداث والتجارب فلا يجد لهم أثرا واضحا متميزا في هذه الناحية»[1]، نجد في هذا القول تفرقة بين السيرة التاريخية والسيرة الأدبية، وهذا التفريق لا يمنع من وجود كتابات عربية قديمة تدرج ضمن مفهوم السيرة الذاتية، إذ لا ننفي الارتباط التاريخي طبعا، ودوافع المؤلفين لتسجيل وكتابة سيرهم وتبريرهم هاجس هذه الكتابة سببا في ترسيخ السيرة الذاتية العربية.

لا يدحض هذا وجود أعمال كثيرة شهد لها التاريخ بدءا من الحكايات ذات العنصر الشخصي، حيث يتحدث المؤلفون عن ذواتهم وتجاربهم وخبراتهم، وهذا بحلول القرن العاشر وبوادر القرن الحادي عشر.

ومن الأعمال القديمة التي تندرج ضمن هذه الأعمال نجد: « السيرة الذاتية القصيرة التي كتبها الفلاسفة والأطباء من أمثال ابن سينا، الرازي، ابن الهيثم، ابن

[1]– إحسان عباس، " فن السيرة "، ص19.

رضـوان...»[1]، تتسـم أعمـالهم بتصـوير الحيـاة الفكريـة أي تسـجيل كـل مـا لـه علاقـة بتكـوين العقـل وتطـويره مـن احتكـاك بأسـاتذة كبـار أو الاطـلاع علـى الكتـب، يقـول إحسـان عبـاس: « هـذه السـير علـى تفـاوت أصـحابها فـي إعجـابهم بأنفسـهم، وبمـا حققـوه مـن مجـد أو غايـة كـانوا يسـعون إليهـا، تفيـدنا كثيـرا لأنهـا تقريـر مباشـر عـن تجـاربهم فـي الحيـاة، وعـن جهـادهم فيهـا، فـإن لـم تكـن فيهـا المتعـة الفنيـة، ففيهـا المتعـة التـي يثيرهـا الخبـر الطريـف والتجربـة الصـادقة، وهـذا النـوع مـن السـير الإخباريـة الصـغيرة غيـر قليـل فـي الأدب العربـي»[2]، فـي هـذا القـول تأكيـد علـى وجـود السـير القصـيرة ذات الطـابع الإمتعـاعي الطريـف، فكتّابهـا يميلـون إلـى سـرد تجـاربهم وتفاصيل حياتهم وأهم ما حققوه.

فـي أواخـر القـرن الحـادي عشـر وبدايـة القـرن الثـاني عشـر، بـدأت كتابـة السـيرة الذاتيـة تزدهـر شـيئا فشـيئا، أيـن راج هـذا الفـن مثـل أعمـال: الفارسـي، البهيقـي، ابـن مـأمون... مـع نهايـة هـذا القـرن وبدايـة القـرن الثالـث عشـر ظهـرت نصـوص مـن السـير الذاتيـة المتميـزة لعـل أهمهـا مـا كتبـه "أسـامة بـن منقـذ" الـذي اشـتهر بحبـه لاسـترجاع الـذكريات، يـاقوت الحمـوي (1229م-622هـ) الـذي جمـع كمـا هـائلا مـن سـير الأدبـاء وقـام بكتابتهـا، « كتـاب الاعتبـار » قـدم فيـه أسـامة تصـوير حـي لشخصـية الفـارس الجسور.

وفـي القـرن الرابـع عشـر وجـدنا أمثلـة متعـددة عـن السـيرة الذاتيـة اشـتهرت بـالتبرير والتعليـل والاعتـذار، يـدافع فيهـا أصـحابها عـن أنفسـهم، أو يعتـذرون عـن أقـوال قالوهـا أو أفعـال قـاموا بهـا، ممـن اشـتهر بهـذا النـوع: « سـيرة المؤيـد فـي الـدين هبـة الشـيرازي،

[1]- ينظر، دوايت رابنولدز، " ترجمة النفس، السيرة الذاتية في الأدب العربي"، ص84.

[2]- إحسان عباس، " فن السيرة " ، ص127.

مـذكرات الأميـر عبـد الله آخـر ملـوك بنـي زيـري بغرناطـة»[1]، ويمكننـا الإشـارة إلـى أن أقـدم البحـوث فـي التـراجم الذاتيـة فـي الأدب العربـي هـو مـا كتبـه المستشـرق "فرانتزروزنتـال" بعنـوان " التـراجم الذاتيـة للمـؤلفين العـرب"، كمـا نجـد إشـارة يحـي إبـراهيم عبـد الـدايم إلـى محاولـة شـوقي ضـيف فـي كتابـه "الترجمـة الشخصـية"، إضـافة إلى تدوين عبد الدايم كتابه بعنوان "الترجمة الذاتية في الأدب العربي الحديث".

كـل هـذه الأعمـال وإن كانـت تـدل علـى شـيء فهـو وجـود سـيرة ذاتيـة فـي أدبنـا العربـي القـديم، حتـى وإن كانـت تفتقـد لمكونـات السـرد مـن وحـدة بنـاء وإحسـاس بـالتطور الزمنـي « وبالاختصـار ظلـت السـير دون شـكل تـام، ودون محتـوى وافٍ كامـل حتـى العصـر الحـديث... ومرجـع ذلـك افتقـاد كثيـر مـن هـذه السـير عنصـر الصـراع الـذي يعطـي العمـل الأدبـي الحركـة والنمـاء »[2]، بـالرغم مـن هـذا نجـد موضـوعات أخـرى فـي سـيرنا العربيـة مـن قـدرة علـى إعـادة الماضـي، وتصـوير الحيـاة فترة بفترة بحرارة بارزة.

أخـذت السـيرة الذاتيـة العربيـة فـي العصـر الحـديث طريقهـا نحـو النمـو والتطـور بدايـة مـن أواخـر القـرن التاسـع عشـر، إذ اتسـعت دور الطباعـة العربيـة، وكثـرة الإرسـاليات والبعثـات العلميـة والاحتكـاك بـالغرب، أشـهر أعمـال هـذا القـرن « تخلـيص الإبريـز فـي تلخـيص بـاريز لرفاعـة الطهطـاوي نشـر عـام 1834م، والسـاق علـى السـاق لأحمد فارس الشدياق الذي نشر عام 1858م»[3].

[1]– المرجع السابق، ص127.

[2]– المرجع نفسه، ص 123.

[3]– ينظر، شعبان عبد الحكيم، " السيرة الذاتية في الأدب العربي الحديث" ، ص31.

وبلغت السيرة في القرن العشرين أوج ازدهارها، وتعددت صورها الأدبية وأكبر مثال هو: كتاب "الأيام لطه حسين"، الذي يعد النص التأسيسي الأول لجنس السيرة الذاتية في الأدب العربي الحديث، إضافة إلى كتاب "حياتي لأحمد أمين".

ثانيا: دوافع كتابة السيرة الذاتية:

أدت عدة أسباب إلى الكتابة في فن السيرة الذاتية، وتحديدها أمر ممكن، يمكن حصرها فيما يلي:

1-اللذة الفنية المتمثلة في فعل الكتابة ذاته:

قد يجد الكتاب والمبدعون عندما يؤلفون أعمالهم، ضربا من اللذة الذاتية، وهذا ما نجده بكثرة في السير الذاتية، ذلك أن الكاتب يتلذذ باستحضار ماضيه الغني بالذكريات السعيدة الفرحة التي عاشها في مراحل حياته « حين يقف الكاتب في لحظة الحاضر ليستحضر الماضي من خلال تفعيل الذاكرة التي تعيد تشكيل الزمن الماضي في الحاضر زمن الكتابة،فإذا به يحمل الحنين إلى تلك اللحظات التي تشكل عالم الطفولة رمز السعادة والبراءة »[1].

فعل استرجاع الماضي فعل عسير لكن فيه الكثير من اللذة الفنية، يقول عبد الرحمان بدوي في كتابه "سيرة حياتي": « في هذا المحيط المتسم بالبراءة أمضيت السنوات السبع الأولى من عمري كنت أمضي سحابة النهار في أحد حقولنا

[1]- بهيجة مصري إدلبي، " السيرة الذاتية في الخطاب الروائي العربي"، الأردن، الوراق للنشر والتوزيع، ط1، 2011، ص57.

العديـدة(...) وإمضـاء هـذا الوقـت الطويـل فـي الحقـول وممارسـة بعـض شـؤون الزراعـة ولّد في نفسي حب الأرض والزراعة»[1].

هنـا لـذة الحنـين بـالعودة إلـى الـزمن الماضـي المفعـم بـالبراءة والبسـاطة، وهـذا الحنين يجعل الكاتب يبدع بقلمه في كتابة سيره وهو يتلذذ بهذه الكتابة.

2-دافع النرجسية:

حـب الـذات وتمجيـدها يجعـل الكاتـب يرسـم شخصـيته فـي أجمـل صـورة، إذ نجـد فـي أعمـال السـيرة الذاتيـة ضـرب مـن الغـرور وإحسـاس عميـق وحـاد بقيمـة الـذات المبدعـة « لمـاذا أتحـدث عـن جمـال الآخـر وأنـا جميـل أنـا نرسيسـي»[2] ، هـذا تصـريح واضـح عـن النرجسـية وحـب الـذات، يقـول محمـد شـكري: « لمـاذا أتحـدث عـن جمـال أملكـه أنـا نفسـي، عنـدما نحـب الآخـرين، نحـب أنفسـنا فـي الآخـرين، أنـا الـذي يمـنح الجمـال للآخـرين، ولـن أمنحـه بعـد اليـوم، لأن فـي ذلـك الكثيـر مـن الخبـث والمراوغـة أنـا أحـب نفسـي فقـط، أنـا الوجـه والمـرآة فـي الآن الواحـد»[3]، أكبـر مثـال عـن الغـرور وحـب الـذات، لكـن حـب الـذات وتمجيـدها لـيس دائمـا يمثـل الشـيء السـلبي، لأن هـذا الحـب يضـفي علـى السـيرة الذاتيـة الكثيـر مـن الجمـال، فرغبـة الكاتـب فـي اسـترجاع الماضـي وتعويضـه تشـعره بالراحـة وتطمـئن بالـه يقـول جـورج مـاي: « السـيرة الذاتيـة تنشـأ مـن رغبـة الكاتـب فـي اسـتعادة مسـار حياتـه ليدركـه وليهنـأ* بالـه بمـا ينتهـي إليـه من نتائج تطمئنه»[4].

---

[1]- محمد الباردي، " عندما تتكلم الذات، السيرة الذاتية في الأدب العربي الحديث "، ص65، نقلا عن عبد الرحمان بدوي "سيرة حياتي"، ص22.

[2]- ينظر المرجع نفسه، ص 67.

[3]- المرجع نفسه، ص67.

*- هكذا وجدناها في النص، التصحيح وليهنئ.

[4]- المرجع نفسه، ص69.

إضـافة إلـى دوافـع نفسـية تمثـل صـدمات أو مواقـف واجههـا فـي حياتـه تقـف وراء كتابة هذا الفن الأدبي.

كـل هـذه الـدوافع دوافـع ذاتيـة تكـون روحيـة خاصـة بفعـل الكتابـة، وأخـرى نفسـية تـأتي علـى شـكل تعـويض للـذات المبدعـة مـن ناحيـة التلـذذ باسـترجاع ذكريـات الحيـاة، ومحاولة تصويرها تصويرا مثاليا.

ثالثا: شروط كتابة السيرة الذاتية

حـاول منظـروا فـن السـيرة الذاتيـة وضـع مجموعـة مـن الشـروط وتحديـدها وإخضـاع السـيرة لهـا، هـذه الشـروط يجـب اتصـالها بالمنـاخ الوجـودي والثقـافي، يـرى البـاردي أن شروط السيرة الذاتية هي شروط تتصل بالزمان والمكان والغايات والأسباب.

هذه الشروط هي:

1-تميز صاحب السيرة الذاتية:

يكـون كاتـب السـيرة الذاتيـة شخصـا غيـر عـادي، أي أن الـذي يكتبهـا هـو مـن بلـغ شـوطا كبيـرا فـي حياتـه الفكريـة والأدبيـة والسياسـية...وهـذا مـا أكـده إحسـان عبـاس بقولـه: « إذا كانـت السـيرة عامـة تتطلـب لرواجهـا أن يكـون بطلهـا شخصـا ذا تميـز واضـح فـي ناحيـة مـن النـواحي، فـإن هـذا الشـرط أساسـي فـي السـيرة الذاتيـة خاصـة، إذ لابـد لشـمول الرغبـة فيهـا أن يكـون صـاحبها ذا صـلة دقيقـة بأحـداث كبـرى، أو أن يكـون ممـن لهـم مشـاركة فـي بعـض تلـك الأحـداث»[1]، أي أن هـذا الفـن لا يكتـب إلا مـن طـرف ذوي الخبـرات، وممـن لهـم بـاع طويـل وكبيـر فـي شـتى مجـالات الحيـاة حتـى لـو كـان مـن عامـة النـاس أو قريـب للعامـة، يقـول البـاردي: « كاتـب السـيرة الذاتيـة

[1]- إحسان عباس، " فن السيرة "، ص104.

عمومـا هـو أقـرب إلـى الشخصـيات العامـة وسـواء كـان رجـلا أو امـرأة فإنـه يكـون قـد بلـغ مـن الشـهرة مـا يجعـل سـيرته قـادرة علـى إثـارة الفضـول الضـروري لـدى قـارئ يريـد أن يعـرف مـا خفـي مـن حيـاة هـذا الرجـل أو هـذه المـرأة»[1]، فكاتـب السـيرة لابـد مـن انتشار صيته في المجتمع انطلاقا من تجربته وتأثيره في الآخرين.

2-عدم الالتزام بسنن معينة عند الكتابة:

لا يشـترط النقـاد والدارسـون كتابـة السـيرة الذاتيـة فـي عمـر محـدد، فينبـه إحسـان عبـاس:« لـيس لـدى الكتـاب مـن عمـر محـدود يقفـون عنـده عنـد كتابـة سـيرهم»[2] ، لـذلك نجـد سـير مختلفـة كتبـت فـي أطـوار مختلفـة مـن العمـر، إذ هنـاك مـن كتـب سـيرته وهـو فـي عنفـوان شـبابه، يقـول محمـد شـكري فـي هـذا الصـدد: « لقـد علمتنـي الحيـاة أن أنتظـر، أن أعـي لعبـة الـزمن بـدون أن أتنـاول عـن عمـق مـا استحصـدته، قـل كلمتـك قبـل أن تمـوت فإنهـا تعـرف حتمـا طريقهـا ، لا تنسـوا أن "لعبـة الـزمن" أقـوى منـا، لعبـة مميتـة هـي، لا يمكـن أن نواجههـا إلا بـأن نعـيش المـوت السـابق لموتنـا»[3]، أي أن يشرع الإنسان في محاكاة تفاصيل حياته موقنا بجدواها في إفادة القارئ.

وقـد نجـد مـن كتـب سـيرته الذاتيـة وهـو فـي عمـر متقـدم، خـاض تجـارب ومواقـف كثيـرة سـاعدت فـي تكوينـه، فالقاعـدة العامـة * تقـول أن كاتـب السـيرة لا يكتـب نصـه إلا فـي آخـر حياتـه أو منتصـفها وخيـر دليـل علـى ذلـك: « طـه حسـين ومحمـد شـكري

[1]- محمد الباردي، " عندما تتكلم الذات، السيرة الذاتية في الأدب العربي الحديث "، ص53-54.

[2]- إحسان عباس، " فن السيرة "، ص100.

[3]- محمد الباردي، " عندما تتكلم الذات "، ص58.

*- القاعدة العامة نقصد بها نتيجة الدراسة التي أجراها جورج ماي على السيرة الذاتية في أوروبا.

اللـذان ألفـا سـيرتيهما وهمـا بـين الأربعـين والخمسـين، وميخائيـل نعيمـة الـذي ألـف سـيرته وقد تجاوز سن السبعين»[1].

هـذا يـدل علـى أن الهـاجس الأساسـي الـذي يقـف وراء كتابـة السـيرة الذاتيـة فـي الأدب العربي هو هاجس الإحساس باقتراب الموت ورؤية شبحها.

3-أن يكون للسيرة الذاتية بناء واضح الملامح:

تكـون كتابـة السـيرة واضـحة فـي أساسـها بعيـدة عـن الغمـوض « ولـذلك لا ينبغـي أن ينظـر للسـيرة الذاتيـة -كعمـل أدبـي- علـى أنهـا مجـرد ترجمـة للحقـائق الموجـودة خـارج الـنص نفسـه، لأن الحقـائق هـذه التـي كانـت سـببا فـي إبـداع الـنص ذاتـه، لـم تعـد الحقـائق نفسـها بعـد أن انـدمجت وامتزجـت وكونـت العمـل الأدبـي، بـل إن الإحسـاس الـذي تخلقـه السـيرة الذاتيـة عمـلا أدبيـا لا علاقـة لـه بالإحساسـات التـي تزودنـا بهـا الحيـاة خـارج الـنص، وهـو الـنص الـذي يفقـد أثـره أيضـا حينمـا يتعـرض للتلخـيص بشـكل أو بآخر»[2].

للسـيرة الذاتيـة أبعـاد حقيقيـة واضـحة يتطـرق الكاتـب مـن خلالهـا إلـى ترتيـب الأحـداث والمواقـف والشخصـيات التـي مـرت بـه وينتهـي إلـى صـياغتها صـياغة أدبيـة محكمـة، تسـهم فـي بلـورة شـؤون الجماليـة الفنيـة داخـل النصـوص الذاتيـة، وتفعـل دور اللغة المختارة كأداة إجرائية تمنح القارئ مجالا أوسع للتحليل والفهم.

[1]- ينظر، محمد الباردي، " عندما تتكلم الذات"، ص57.

[2]- سيد إبراهيم آرمن، " السيرة الذاتية وملامحها في الأدب العربي المعاصر"، ص 19. نقلا عن عبد العزيز شرف، "أدب السيرة الذاتية"، ص20.

4-تواجد الصراع في السيرة الذاتية:

تقوم السيرة الذاتية في أصلها على عنصر الصراع الداخلي بين تحقيق لذة حب الذات وبين التأكيد على وجودها، يقول إحسان عباس: « حظ السيرة الذاتية من البقاء منوط بحظ صاحبها نفسه من عمق الصراع الداخلي أو شدة الصراع الخارجي»[1]، فالكاتب حين يطرح ما بداخله من مكنونات يقيم رابط بينه وبين المتلقي، حيث يثير عطف المتلقي ويحرك تيار وعيه، إذ يستجيب لهذا العمل الفني، « كاتب السيرة الذاتية هنا –مثل الشاعر– يعبر في تجربته عما في نفسه من صراع داخلي سواء أكان تعبيرا عن حالة من حالات نفسه هو، أو عن موقف إنساني عام تمثله في حياته»[2].

فيستنتج موقف خاص بذات الكاتب نفسه من إحساس بوقع ذنوبه وآثامه، وحتى بوقع فضائله وما يحس به من طمأنينة أو من خلال مواقف اصطدم بها في حياته، وأخذها عبرا يستأنس بها.

5-محاولة الصدق والأمانة:

يصور كاتب السيرة نفسه تصويرا صادقا، بعيدا عن الكذب وتزييف الوقائع، ولو كان هذا الأمر شبه مستحيل لأن هناك من الكتّاب الذين يستحون من ذكر بعض الأمور كالجنس مثلا: « الصدق الخالص أمر يلحق بالمستحيل والحقيقة الذاتية صدق نسبي، مهما يخلص صاحبها من نقلها على حالها، ولذلك كان الصدق في السيرة "محاولة" لا أمرا متحققا»[3].

---

[1]– إحسان عباس، " فن السيرة "، ص98.

[2]– سيد إبراهيم آرمن، " السيرة الذاتية وملامحها في الأدب العربي المعاصر"، ص 20.

[3]– إحسان عباس، " فن السيرة "، ص113.

علـى الـرغم مـن الوصـول إلـى مراتـب عاليـة مـن الصـدق، والتجـرد مـن الزيـف والكـذب إلا أن هـذا الصـدق يبقـى نسـبي لأن الإنسـان بطبعـه ينسـى بعـض الأحـداث، أو يتعمـد نسـيانها، ويحـاول إخفاءهـا خاصـة الوقـائع التـي لا قيمـة لهـا فـي نظـره لـذلك يبقـى توظيـف الصـدق الخـالص محاولـة مـن المؤلـف فـي تـأليف سـيرته دون الامتثـال للأمانة الحقة.

رابعا: الخصائص الفنية للسيرة الذاتية

تعـد السـيرة الذاتيـة جنسـا أدبيـا شـأنها شـأن الأجنـاس الأدبيـة الأخـرى، فمـن الطبيعـي أن تكـون لهـا خصـائص وسـمات فنيـة تميزهـا عـن بـاقي الأجنـاس، مـا يميـز هـذا الجـنس احتـواءه علـى محـورين أساسـيين،هما كمـا حـددهما "فيليـب لوجـون" عناصـر منتميـة لـداخل الـنص خاصـة بالسـارد والشخصـية المركزيـة، وعناصـر منتميـة لخارج النص تشتمل على اسم المؤلف وعنوان المؤلف وصورة الغلاف.

1- العناصر المنتمية لداخل النص:

أ- ضمير المتكلم (أنا المؤلف الحقيقي، أنا السارد):

ضـمير المـتكلم يجعـل الحكايـة المسـرودة أو الأحدوثـة المرويـة مندمجـة فـي روح المؤلـف، فيـذوب ذلـك الحـاجز الـذي كنـا ألفينـاه بفصـل مـا بـين زمـن السـرد وزمـن السـارد، ظاهريـا علـى الأقـل: « يأخـذ ضـمير المـتكلم فـي السـرد السـير الـذاتي المرتبـة الأولـى، ويـأتي بعـده ضـمير الغائـب، وذلـك لمـا يحملـه ضـمير المـتكلم مـن خصـائص لها علاقة ملتصقة بالذات»[1].

[1]- بهيجة مصري إدلبي، " السيرة الذاتية في الخطاب الروائي العربي "، ص44.

يشـير المـتكلم مباشـرة إلـى الـذات باعتبـاره ضـمير السـرد المناجـاتي* ، فهـو يتوغـل فـي أعمـاق الـنفس البشـرية: « وهنـا يبـين أن هـذا الضـمير يحيلنـا علـى حـد تعبيـر تودوروف إلى الرؤية المتصاحبة»[1].

ب- ضمير الغائب (هو المؤلف، هو السارد)

يـأتي ضـمير الغائـب فـي المرتبـة الثانيـة بعـد ضـمير المـتكلم فـي سـرد السـير الـذاتي ، هـذا راجـع للمسـافة الفاصـلة بـين السـارد والبطـل، والسـرد بضـمير الغائـب يوضـح أن المؤلـف يـروي شخصـية أخـرى منفصـلة عنه،وقـد فصـل عبـد الملـك مرتـاض في طبيعة وظائف هذا الضمير:

- أنه وسيلة صالحة لأن يتوارى وراءها السارد، فيمرر ما يشاء من أفكاره.
- يحمـي الكاتـب مـن السـقوط فـي فـخ الأنـا، وهـذا فيـه بعـد عـن سـرد نـص السـير الذاتي.
- يحمـي السـارد مـن إثـم الكـذب، حيـث يجعلـه مجـرد حـاكٍ يحكـي ومبـدع يبـدع كمـا يتيح للكاتب أن يعرف شخصياته المختلفة»[2].

ج- ضمير المخاطب:

يتجلـى اهتمـام المؤلـف الكبيـر بالقـارئ فيوظـف ضـمير آخـر فـي بعـض الأحيـان، وهـو ضـمير المخاطـب: « الـذي يعـد أحـدث الأشـكال السـردية عهـدا»[3]، هـذه التقنيـة تسـعى بـدورها إلـى مسـاعدة القـارئ فـي الولـوج داخـل الـنص، وارتباطـه معـه لينتج ذلك تفاعل مع أحداث النص.

---

*- السرد المناجاتي: هو اقتضاب للأحداث الخاصة والمرتبطة بالذات على وجه الخصوص.

[1]- بهيجة مصري ، " السيرة الذاتية في الخطاب الروائي العربي"، ص45.

[2]- ينظر، عبد الملك مرتاض،" في نظرية الرواية"، سلسلة عالم المعرفة، ع 240، الكويت، 1998، ص177-179.

[3]- بلوافي محمد، "لعبة الضمائر والسرد"، نقلا عن عبد الملك مرتاض، "تحليل الخطاب السردي"، ص 197.

فاعتماد ضمير المخاطب يجعل الحدث يندفع جملة واحدة في العمل السردي كما أنه يتيح وصف وضع الشخصية يقول عبد الملك مرتاض: « توظيف ضمير المخاطب أنت يفك من العقدة النرجسية الماثلة في الأنا»[1]، بهذا يصبح العمل يملي شروط على القارئ من أجل التمسك به ومواصلة تتبع أحداثه حتى النهاية.

فتوظيف هذه الضمائر الثلاثة تساعد على توطيد العلاقة بين المخاطَب والمخاطِب وتسهيل عملية التواصل.

2-العناصر المنتمية لخارج النص:

يشكل اسم العلم واسم المؤلف أساس العمل السردي فهو: « الاسم الوحيد الذي يتم إعلانه من أجل تحقيق ذات المؤلف وإثباتها، وبذلك لا يحل إشكال تطابق المؤلف مع الشخصية الرئيسية إلا عبر توظيف هذا العنصر، أي عبر التوقيع وإثبات الاسم الذي اعتاد المؤلف وضعه فوق غلاف الكتاب، مؤشرا على حضوره التام فهو العلامة الوحيدة في النص (خارج النص) لاريب فيه، تحيل إلى شخص واقعي يطلب بهذه الطريقة أن تنسب إليه في آخر المطاف مسؤولية تلفظ النص المكتوب برمته، إن اسم العلم دالة وهو الإشارة الوحيدة إلى وجود المؤلف (...) داخل النص»[2].

نستنتج من هذا القول أهمية الاسم المذكور على غلاف الكتاب كونه العلامة الدالة على وجوده داخل العمل الفني وتحمل مسؤولية أقواله وأفعاله والعناصر المهمة التي لها علاقة بنص السيرة الذاتية هي عنوان الكتاب والإهداء والفاتحة، كون هذه العناصر تمثل ذات المؤلف وما يربطه بالعمل الفني.

---

[1]- بتصرف، عبد الملك مرتاض، " في نظرية الرواية"، ص252.

[2]- بهيجة مصري إدلبي، " السيرة الذاتية في الخطاب الروائي العربي"، ص47.

خامسا: أشكال السيرة الذاتية

تختلف أشكال السير الذاتي باختلاف مواضيعها المنبثقة من اتجاهات وانتماءات كتابها، من هذه الأشكال:

1-الشكل المقالي:

يبني المؤلف سيرته على شكل مجموعة من المقالات وينهج في كل مقالة نهج التفسير والتعليل، يمهد لكل فقرة بتقديم بسيط وعرض وخاتمة، يسجل فيها المؤلف حياته على فترات مختلفة، تعبر كل فترة عن مرحلة من مراحل حياته: « هذه الفقرات تصوغ سيرة حياة صاحبها وملامح شخصيته الفكرية والوجدانية والروحية، لا في نهج من الترابط والاتساق، ولكن في فقرات تتجاور فيما بينها، لتعكس لنا سيرة حياة صاحبها»[1].

يصور هنا المؤلف موقفه من الواقع والأحداث التي مر بها معتمدا على التحليل والتبرير.

2-الشكل التأريخي:

يقصد بالشكل التأريخي ذلك الشكل الذي يعتمد فيه المؤلف نهج المؤرخ في تتبع سيرة حياته، وأن يكون تتبع الأحداث تصاعديا على مر الزمان، أي تسجيل الوقائع تسجيلا تسلسليا تاريخيا، « تُروى السيرة بأسلوب علمي صارم بعيد عن الخيال، ولا اللغة المعبرة الموحية عن المعاني وظلالها، بل اللغة الصارمة الدقيقة،

[1]- شعبان عبد الحكيم، " السيرة الذاتية في الأدب العربي الحديث"، ص41.

فـي هـذا الشـكل نفتقـد التصـوير، الحـوار الـدرامي واسـتبطان الـذات*،إن المؤلـف يرصـد لأحداث حياته بمنهج المؤرخ لا بتصور الأديب الذي يخلق نصا فنيا»[1].

فيحـرص الكاتـب علـى تحديـد فتـرات حياتـه تحديـدا تاريخيـا وعلميـا مـن ولادتـه حتـى اليـوم الـذي كتـب فيـه سـيرته متخليـا عـن الغـرور والميـل إلـى الصـدق فـي نقـل واقعه الخاص.

3-الشكل الروائي:

يعـرف هـذا الشـكل فـي الأدب الغربـي بالسـيرة الذاتيـة الروائيـة وهـو الشـكل الأرقـى فـي كتابـة السـيرة الذاتيـة حيـث تتسـع مسـاحة الإبـداع ويسـمح للمخيلـة بـأن تلعـب لعبتهـا الفنية.

وهـذا الإطـار الفنـي يقتـبس إنشـائيّته مـن إنشـائية الروايـة: « لمـا كـان نضـج الروايـة سـابقا فـي الـزمن علـى نضـج السـيرة الذاتيـة، فلـيس لنـا أن نسـتغرب مـن أن تكـون السـيرة الذاتيـة قـد أخـذت عنـد نشـأتها الطرائـق السـردية التـي سـبق أن اعتمـدت فـي كتابة الرواية»[2].

أي أن الكاتـب فـي هـذا الشـكل يأخـذ مـن الروايـة مثـالا لـه، أيـن يـزاوج بـين عـرض أحـداث حياتـه والشـكل الروائـي الـذي يعتمـد علـى السـرد والتصـوير وإيجـاد التـرابط والانسـجام بـين الأحـداث واسـتخدام الخيـال، والـذين يـذهبون إلـى كتابـة سـيرهم الذاتيـة فـي هـذا الشـكل هـم فـي أصـلهم كتابـا روائيـين، أيـن يجمـع السـارد بـين روايـة الأفعـال وروايـة الأقـوال بتوظيـف التقنيـات السـردية، مـن حيـث كـون العمـل الفنـي يتصـف

*- استبطان الذات: ملاحظة المرء لظواهره النفسية الخاصة ودراستها، وفحص المرء أفكاره ومواقفه ومشاعره.

[1]- شعبان عبد الحكيم، " السيرة الذاتية في الأدب العربي الحديث"، ص59.

[2]- محمد الباردي، " عندما تتكلم الذات، السيرة الذاتية في الأدب العربي الحديث"، ص 174.

بالبنـاء المتسـق والتصـوير الرائـع للأحـداث واسـتبطان الـذات، واسـتخدام الحـوار الـدرامي الذي يطور الأحداث ويكثفها.

سادسا: في الأدب السلطاني

1-نظرة عامة حول هذا الأدب:

يُعـرف الأدب السـلطاني بأنـه ذلـك الفـن الـذي يقـوم فـي أساسـه علـى مبـدأ النصـيحة فـي تسـيير شـؤون السـلطة، وهـذه النصـائح أخلاقيـة وقواعـد سـلوكية، يقـال أن: « الآداب السـلطانية هـي فـي جملتهـا مجمـوع النصـوص والتـدابير والإجـراءات الواجـب اتخاذهـا مـن الأميـر، لإدامـة السـيطرة وتعزيـز الملـك وإدارة شـؤون الرعيـة»[1]، فهـو ذلـك العمـل الأدبـي الـذي يجمـع أفعـال وخبـرات السـلطان فـي تسـيير شـؤون بلاطـه، لتعزيـز ملكـه وسـلطته، هـذا الأدب يحمـل فـي ثنايـاه نصـائح وإرشـادات وعبـر مباشـرة وغيـر مباشـرة، جـاءت علـى لسـان السـلطان نفسـه، أو علـى لسـان أهـل العلـم والـدين والفقـه، موجهـة لرعيـة الملـك أو جيشـه أو خدمـه أو لأهلـه وبصـفة خاصـة لأحـد أفـراد عائلتـه كمـا يتـزامن ظهورهـا مـع مـا يـدعوه الجميـع بحـدث انقـلاب الخلافـة إلـى الملك.

ويمكن تقسيم الفهارس السلطانية إلى ثلاثة أقسام:

1-يتعلـق الأول منهـا بأخلاقيـات السـلطان، حيـث الأدبـاء السـلطانيون يتفـاوتون فـي ذكـر هـذه الأخلاقيـات مـن خصـال حميـدة وشـيم فاضـلة، إذ تشـكل هـذه الأخلاقيات النقطة المركزية لكل كتابة سلطانية.

[1]– زهير توفيق، " الراعي والرعية في الآداب السلطانية" ، جريدة الإتحاد، ثقافة وفن، www.alitihad.com.

2-والثاني يشمل حاشية السلطان، أي الحديث عن أفعال وأقوال الحاشية التي تشمل أعوان وأطباء السلطان خاصة الأقرباء إلى البلاط.

3-ما يسمى مقومات الملك من الجند (أهل السيف) والمال والرعية وأصحاب القلم.

يرى ابن خلدون أن الملك له أركان « إذ لابد له من الجند والمال، والمخاطبة لمن غاب عنه فاحتاج صاحب الملك إلى الأعوان في أمر السيف وأمر القلم وأمر المال»[1]. في هذا القول نجد علاقة بين السلطان والرعية، وبين السلطان وأهل العلم من أدباء وشعراء....

نجد في الكتابات السلطانية حديث عن طرق تعامل السلطان مع رعيته وما عليهم من واجبات وحقوق « فمصلحة الرعية في السلطان ليست في ذاته وجسمه من حسن شكله أو ملاحة وجهه أو عظم جثمانه، أو اتساع علمه أو جودة خطه (...) وإنما مصلحتهم فيه من حيث إضافته إليهم، فإن الملك والسلطان من الأمور الإضافية (...) فحقيقة السلطان أنه المالك للرعية القائم في أمورهم عليهم فالسلطان من له رعية والرعية من لها سلطان»[2]. تربطهما علاقة أخذ وعطاء، فقد أولت الآداب السلطانية الأهمية الكبرى للحاكم الراعي الساهر الذي يسيّر أمور مملكته، فهذا السلطان الراعي يعمل على تأمين مصادر الرزق للرعية ويقوم برعايتها وحمايتها من الأعداء، وهنا نلتمس جانب الإغراء من السلطان على رعيته، فاهتمام السلطان بها فيه نوع من الاستمالة من أجل تجنيد الرعية إلى جانبه بتقديم الطاعة والولاء له.

---

[1]- عبد الرحمان محمد بن خلدون، " كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، المقدمة"، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1993، ص104.

[2]- المرجع نفسه، ص79.

يـرى ابـن خلـدون أن السـلطان إذا كـان قـاهرا باطشـا برعيتـه لاذوا منـه بالكـذب والمكـر والخديعـة وربمـا خـذلوه فـي مـواطن الحـروب، أمـا إذا كـان الملـك رفيقـا بهـم قريبـا مـنهم وحليمـا علـيهم، أطـاعوه ووقفـوا إلـى جانبـه فـي السـراء والضـراء « فالسـلطان هـو ركـن الـدين وحاميـه وهـو الـذي أعـزه وقـوى أركانـه (...) لأن هـذا مـا يريـد الحـاكم أن يعرفـه عنـه رعايـاه»[1]، فـي هـذا القـول برهـان علـى وجـود علاقـة بـين السـلطان والإسـلام، فالسـلطان هنـا اسـتمد حكمتـه وشـيمه الفاضـلة مـن تعـاليم الـدين الحنيـف، وتعامـل مـع رعاياه بما يرضي الله عز وجل والرسول صلى الله عليه وسلم.

مـن أسـباب نجـاح الملـوك فـي تسـيير شـؤونهم ودوام سـلطتهم، مـدائح الأدبـاء ونصـائحهم وخبـراتهم التـي قـدموها للسـلاطين، فهنـا يبـرز دور أصـحاب القلـم، قـال ابـن شـبرمة: « إذا أردت أن تعظـم فـي عـين مـن كنـت فـي عينـه صـغيرا، ويصـغر مـن كـان فـي عينـك كبيـرا فـتعلم العربيـة، فإنهـا تجزيـك عـن المنطـق، وتـدنيك مـن السـلطان»[2]، فلابـد علـى الأديـب أو الكاتـب أن يكـون متمكنـا مـن جميـع العلـوم المعرفيـة مـن ديـن وسياسـة وحسـاب...خاصـة اللغـة العربيـة وفضـل الأديـب علـى السـلطان كبيـر، فبعملـه يخلد ذكره ويحفظ سلطانه.

قال ابن الخطيب: [3]

يَمْضِي الزَّمَانُ وكُلُّ فَانٍ ذَاهبٌ إلاَّ جَمِيلَ الذِّكْـرِ فَهُوَ البَـاقِـي

لَمْ يَبْقَ مِنْ إِيوَانِ كِسْرَى بَعْدُ ذَا كَ الحَفْلِ إلاَّ الذِّكْرُ فِي الأَوْرَاقِ

[1]– فوزي محمد أمين، " أدب العصر المملوكي الأول، ملامح المجتمع المصري"، كلية الآداب، جامعة الاسكندرية، دار المعرفة الجامعية، 2012، ص20.

[2]– أبو أحمد ابن قتيبة، "عيون الأخبار"، تع داني ابن منير الزهوي، المكتبة العصرية، بيروت، 2003، ج2، ص135.

[3]– أحمد بن محمد المقري، " نـفـح الطيب من غصن الأندلس الرطيب"، تع إحسان عباس، دار صادر، بيروت، د ط، 1968، ص203.

فالسـلاطين يخلـدون بأعمـالهم التـي حفظتهـا المـدونات والمؤلفـات، والملـك لا يسـتطيع صـياغة سـيرته وحـده دون عـون الأديـب وإرشـاداته، لكـن هنـاك مـن الملـوك الذين كانوا سلاطين وأدباء وشعراء وفقهاء في نفس الوقت.

نجـد تهافـت أصـحاب العلـم إلـى السـلاطين، حـاملين بضـائعهم الأدبيـة يقـول التوحيـدي فـي هـذا الصـدد: « إنـي أرى علـى بابـك جماعـة (...) هـم أهـل الوفـاء، ذوا كفايـة وأمانـة ونباهـة ولياقـة (...) مـنهم مـن يصـلح للعمـل الجميـل (...) ومـنهم مـن ينظم الـدرّ إذا مـدح، ويضـحك الثغـر إذا مـزح»[1]، فهـؤلاء المـؤلفين يهرولـون نحـو سـوق السـلطان * لطـرح بضـاعتهم الأدبيـة التـي قـد تقبـل وقـد تـرفض، فالملـك يقبـل مـا يلائـم رغباتـه ويخـدم مصـالحه، بهـذا يتقـرب الأديـب مـن السـلطان « فقـد أكـبّ أولـو الأمـر علـى الشـعراء يعظّمـون شـأنهم ويطربـون لأقـوالهم، ويغـدقون علـيهم الأمـوال»[2]، فصـحبة السـلطان تـنعم علـى الكاتـب منـافع كثيـرة مـن مـال ومنزلـة رفيعـة فـي بـلاط الملك.

بعـض الأمثلـة والنمـاذج عـن أدبنـا السـلطاني، الـذي تبنتـه أقـلام السـلاطين وكتابهم:

– جـاء فـي سـيرة " أفلـح بـن عبـد الوهـاب بـن عبـد الرحمـان بـن رسـتم"، أنـه معلـم فـي الفقـه واللغـة، شـاعر وأديـب، لـه عـدة مؤلفـات فـي النصـح والإرشـاد أوردت المصـادر القديمة قصيدة له في طلب العلم تقع في نحو أربعة وأربعين بيتا.

---

[1]– ينظر، مصطفى الغرافي، " المثقف والسلطة من خلال الآداب السلطانية"، المحور، مواضيع وأبحاث سياسية، ع 3678، 2012، د ص.

*– سوق السلطان: عرفها الجاحظ بقوله: أنها السوق التي لا ينفق فيها إلا العلم، ولا يصل إليها إلا أهل العلم. ينظر، عمرو بن بحر الجاحظ، " رسائل الجاحظ، الرسالة السابعة، كتاب الفتيا"، تح محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2000، ج1، ص 221–222.

[2]– حنا الفاخوري، " الجامع في تاريخ الأدب العربي القديم"، دار الجيل، بيروت، لبنان، ط1، 1982، ص668.

من هذه الأبيات: [1]

العِلْـــمُ دُرٌّ لَـــهُ فَضْـلٌ وَلا أحد فِي النَّاسِ يُحْصِي للإِنْسَانِ أَقْدَارًا

للعِلْمِ فَضْلٌ عَلَى الأَعْمَالِ قَاطِبَةً عنِ النَبِـــي رُوِينَا فِيـــهِ أَخْبَارًا

يَقُـــولُ طَالِـــبُ عِلْمٍ بَاتَ لَيْلَتَهُ فِي العِلْـــمِ أَعْظَمُ عِنْدَ اللهِ أَخْطَارًا

فـي هـذه الأبيـات نلـتمس اهتمـام أفلـح الكبيـر بـالعلم والعلمـاء، فقـد تفـرغ لـه دون إهمـال مملكتـه، ففـي نظـره بهـذا العلـم نكتسـب الخصـال الحميـدة ونتبـع خطـى الرسـول صـلى الله عليـه وسـلم، ونتقـرب مـن الله عـز وجـل، يكفينـا أن الملائكـة تضـع أجنحتهـا لطالب العلم.

– ويعـد "عبـد المـؤمن بـن علـي بـن مخلـوف بـن يعلـى بـن مـروان" هـو الآخـر شـاعرا وأديبـا، لـه انتاجـات أدبيـة كثيـرة، يقـول عبـد المـؤمن لأتباعـه الموحـدين بعيـد وفـاة المهـدي: « إن الإمـام قـد سـار إلـى مـا عنـد الله، ووجـد خيـرا ممّـا تـرك فكونـوا فـي أنفسـكم، وانظـروا فـيمن تولونـه أمـوركم، وتجتمـع عليـه كلمـتكم بعـده، ولا تفرقـوا ولا تنـازعوا فتفشـلوا وتـذهب ريحكـم، ويختـل أمـركم ويتفـرق جمعكـم، ويـتمكن مـنكم عـدوكم»[2]، هنـا يبـين عبـد المـؤمن أن لكـل فـرد الحريـة الكاملـة فـي اختيـار الخليفـة دون ضـغط أو تعسـف علـيهم، كمـا يحـق لهـم التشـاور، وتنصـيب السـلطان الـذي اتفقـوا هـم عليـه حسـب رغبـتهم فسـيرة السـلطان "عبـد المـؤمن" كونـت فـي أذهاننـا أنـه الملـك الأديب المتعلم المتواضع.

[1] – سليمان بن عبد الله الباروني، " الأزهار الرياضية في أئمة وملوك الإباضية"، تح أحمد كروم، دار البعث قسنطينة، الجزائر، ط3، 2002، ج2، ص 248.

2– علي بن عبد الله بن أبي زرع، "الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب ومدينة فاس"، صور للطباعة والوراقة، الرباط، المغرب الأقصى، د ط، 1972، ص185.

– أمـا الأديـب "أبـو حمّـو موسـى الزيـاني الثـاني" فقـد كـان قريبـا مـن رعيتـه فسـوى بـين مختلـف الطبقـات ومختلـف الأعمـار.تناقلـت المؤلفـات العربيـة أنـه رجـل أخـلاق وعـدل وعطف، لا يظلم عنده أحد.

يقول أبو حمّو: [1]

أَحْمِـي المَظْلُـومَ وأَنْصُرُهُ وأُقِيـمُ الحَقَّ عَلَى عَجَلِ

أَنزَلْتُ النَّـاسَ مَنَـازِلَهُمْ وتَرَكْتُ الظَّالِمَ فِي وَجَلِ

وَأَنَـا للطِفْـلِ كَوَالِـدِه وَأَسُوقُ الشَّيْخَ عَلَى مَهَلِ

وَالرِفْـقُ كَذَلِكَ مِنْ شِيَمِي وَالعَدْلُ بِهِ أُعْطَـى أَمَلِي

هـذا دليـل علـى تجسـد الحـق، وإعطـاء كـل ذي حـق حقـه، وتقربـه مـن كـل الفئـات، وبرهـان علـى عدلـه ورفقـه. وقـد خلّـد مـآثره فـي كتابـه "واسـطة السـلوك فـي سياسـة الملـوك"، مخاطبـا فيـه ولـي عهـده "أبـو تاشـفين" وهـذا لـم نجـده عنـد السـلاطين الآخرين.

[1]– عبد الحميد حاجيات، " أبو حمّو موسى الزياني، حياته وآثاره"، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط2، 1982، ص 310.

وقـد وصـلتنا عـدة مصـادر لـلأدب السـلطاني حفظهـا التـاريخ، نـذكر بعضـها فـي هذا الجدول :

اسم الكتاب	اسم صاحب الكتاب
1- " كتـاب السياسـة فـي تـدبير الرئاسـة وضبط أحوال المملكة السلطانية".	1- الفيلسوف أرسطاطليس.
2- " سراج الملوك ".	2- أبـي بكـر محمـد بـن محمـد الوليـد الفهري الطرطوشي الأندلسي.
3- " كتاب السياسة ".	3- أبـي القاسـم حسـين بـن علـي بـن الحسين الوزير المغربي.
4- " الذهب المسبوك في نصائح الملوك "	4- أبي حامد الغزالي.
5- " الإبريز المسبوك في كيفية أدب الملوك ".	5- عبد الله بن عبد الرحمان.
6- " تاج الدين فيما يجب على الملوك والسلاطين ".	6- المغيلي محمد بن عبد الكريم.
7- " سلوان المطالع ".	7- محمـد بـن عبـد الله بـن محمـد بـن ظفر.
8- " حسن السلوك في مواعظ الملوك ".	8- أبـي الفـرج عبـد الرحمـان بـن علـي بـن الجوزي البغدادي.
9- " منهج السلوك إلى نصيحة الملوك ".	9- الدمنهوري أحمد بن عبد المنعم.

تشـكل هـذه الكتابـات عمـلا جـادا، يوضـح الصـفات الخلقيـة والقواعـد السياسـية التـي يجـب علـى صـاحب السـلطة الإلتـزام بهـا، لتحقيـق هـدف يتمثـل فـي إدامـة الحكـم، وتقويـة دعائمـه والحفـاظ علـى السـلطة، فقـد بينـت هـذه الكتابـات آثـارا ذات فعاليـة،

عمقت العلاقة الثابتة بين الفرد والطبيعة، بحيث تم تأكيد الهدف من وجوده وهو التعمير، بعيدا عن كل تلك السلوكيات التي جسدتها السلطة من حين لآخر.

2- شرعية المصطلح (الأدب السلطاني):

مع نشأة وتطور الأدب السلطاني، ظهرت عدة تساؤلات، طرحها الباحثون والنقاد حول شرعية هذا الأدب، فهل لهذا الجنس وجود؟ وهل هناك أقلام أكدت تجلي هذا الفن؟.

بداية هذه الآداب السلطانية، شأنها شأن الأجناس الأدبية الأخرى، التي تعرضت للنقد، فهناك من الكتاب الذين اهتموا بالجوانب السلبية لهذا الفن، ولم يقروا بوجوده، فقد أولوا اهتمامهم بكل ما يؤدي إلى سقوط الدولة وانهيار الملك، من جور الملك وجشعه وعدم الاهتمام برعاياه، فنجد ابن خلدون، رغم إقراره بآداب السلطان إلا أننا نجده يسلط الضوء على صورة السلطان المستبد والمتكبر[1]، الذي يعمل على قضاء أموره الشخصية وتسيير شؤونه على حساب الآخرين إذ جعل سلطته مركزا وأهمل الشعب ووضعهم على الهامش.

هذا الوضع أدى بالكثير إلى التساؤل حول شرعية هذا الفن؟ وهل يجب الأخذ بهذا التراث الأدبي القائم على الإستبداد والتعسف؟ والنظر فيما أهملته أقلام كتاب الدواوين والسلاطين؟ على الرغم من كل هذه التساؤلات إلا أنه لا يمكننا إنكار هذا الفن، باعتباره الأدب الذي يظهر كيفية تسيير الملوك أمور مملكتهم، ويعدد خصالهم الحميدة والآداب الخاصة بالسلطان، فهذا الشيء وجدناه بكثرة فيما كتبه المؤلفون والأدباء فقد تركوا لنا أعمالا مختلفة تناولت أخبار السلاطين وتاريخهم. منها "رسالة الصحابة" لابن المقفع، "التاج في أخلاق الملوك" للجاحظ،

[1] – ينظر، عزالدين العلام،" الآداب السلطانية"، مجلة سلسلة عالم المعرفة الكويتية، ع 324، 2006، ص 285-286.

"أدب الملـوك" للثعـالبي، "الفخـري فـي الأحكـام السـلطانية" لابـن طباطبـا... كـل هـذه الأعمال جسدت هوية السلطان.

فمـن خـلال عمـل ابـن المقفـع مـثلا الـذي يعتبـر أحـد منظـري الآداب السـلطانية نلـتمس تأكيـدا علـى وجـود هـذا الأدب، فقـد تنـاول فيـه مسـائل الحكـم والإدارة، ومـا يتطلبـه الملـك مـن آداب تسـاعده فـي نشـر سـلطانه وتقربـه مـن الحاشـية، كمـا نجـد ابـن المقفـع قـد وصـف الملـك و جعلـه صـاحب الـرأي والقـرار باعتبـاره مطبقـا لأحكـام الله تعـالى فحسـب رأيـه السـلطان يسـتلهم أحكامـه مـن الله عـز وجـل، كمـا نجـد الفقيـه أبـو الحسـن المـاوردي صـاحب "الأحكـام السـلطانية"، الـذي عـزز فـي كتابـه هـذا دعـائم الملـك والدولـة بـالجمع بـين الـدين والدولـة، فالملـك والـدين أخـوان توأمـان لا قـوام لأحـدهما إلا بصـاحبه، لأن الـدين أسـاس الملـك وعمـاده، ثـم صـار الملـك يعـد حـارس الـدين[1]، الـدين يقـوي شخصـية السـلطان، ويحمـي مصـالحه، لأن هـذا الحـاكم يسـتمد أحكامه من الشريعة ويطبقها دون الانزياح عن تعاليم الدين الإسلامي.

بعـد هـذه الإطلالـة السـريعة علـى جوانـب معينـة مـن الأدب السـلطاني ومحتـواه نجـد أن هـذا الأدب يمتلـك مـؤهلات وخصـائص تميـزه، بـأن يكـون جنسـا أدبيـا حقـق مشـروعيته بامتيـاز، وهـذا الشـيء أكدتـه مختلـف المصـادر والمراجـع التـي تحـدثت عـن جمالية هذا الفن ومكانته في الفضاء الأدبي.

[1]– ينظر، كمال عبد اللطيف، " في تشريع أصول الاستبداد" ، دار الطليعة، بيروت، 2000، دط، ص 21.

الفصل الثاني: تجليات الذات في كتاب " واسطة السلوك في سياسة الملوك "

أولا: سيرة " أبو حمّو موسى الزياني "

ثانيا: ملخص كتاب " واسطة السلوك في سياسة الملوك"

ثالثا: إحـــــالات الأنا :

1) ضمير المخاطب
2) ضمير الغائب
3) ضمير المتكلم
4) جمالية الإيقاع

أولا: سيرة (أبو حمّو موسى الزياني)

1- المحطة التاريخية:

نجد في كتب التاريخ أن بني زيّان عرفوا؛ ببني عبد الواد[1]، إذ كان الفضل للموحدين بداية في مساعدتهم على الاستقرار فأقطعوهم ضواحي المغرب الأوسط، واستمروا في تبعيتهم للموحدين، إلى أن جاء "يغمراسن بن زيان"* واستقل بتلمسان عام (633 هـ/1235م)، وعام (737 هـ/ 1336م) استطاع المرينيون ضمهم إليهم، وفي هذه الفترة كثرت الخلافات والمؤامرات بين أفراد الأسرة، إذ قُتِل " أبو حمو موسى الأول" على يد إبنه "أبو تاشفين عبد الرحمان الأول"، الذي تولى الحكم بعده. ظل الصراع بين بني مرين وبني عبد الواد، إلى أن جاء السلطان "أبو حمّو موسى الزيّاني الثاني" (760هـ-791هـ/ 1359م-1389م)، فأحيا هذا الرجل العظيم الدولة الزيانية، كونه رجل دهاء وحنكة، وما كان يتمتع به من فكر سياسي، ثقافي وديني... استطاع أن يخرج الدولة الزيانية من الظلام إلى النور، إذ يعدّ عصره عصر ازدهار هذه الدولة وتقدمها رغم الصعوبات والعراقيل التي واجهته من حروب داخلية وخارجية، وصراع مع ابنه "أبو تاشفين"[2].

لم يدم طويلا هذا الوضع، فقد انتشرت الفتن والمؤامرات بين أفراد العائلة الزيانية، إذ ثار الإبن على أبيه، وما لبثت الدولة طويلا إلى أن سقطت تارة بين يدي المرينيين وتارة أخرى بين يدي الحفصيين، وكانت نهايتها على يد العثمانيين.

---

[1]- ينظر، علي محمد الصلابي، " دولة الموحدين، سقوط الأندلس الاسلامية ومحاكم التفتيش البربرية"، مؤسسة اقرأ للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 2007، ص 257.

*- يغمراسن بن زيان أول من استقل بتلمسان، وهو المؤسس الأول والحقيقي للدولة الزيانية، ينظر، الدراجي بوزياني، "نظم الحكم في دولة بني عبد الواد الزيانية"، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، د ط، د ت، ص24-25.

[2]- ينظر، المرجع نفسه، ص32.

2- المحطة الحضارية والفكرية:

لم يهمل سلاطين الدولة الزيانية الجانب الثقافي فشجعوا العلم والعلماء، بالرغم من انشغالهم بالحروب والتنافس على السلطة، فقد « انتشر التعليم في مختلف المدن والقرى الزيانية انتشارا واسعا عكس شغف الزيانيين بالعلم وولعهم بالمعرفة»[1]، فبنى الملوك والأمراء المدارس وأنشؤوا دورا للتعليم التي بقيت تمثل الحضارة الزيانية ومن أهم هذه المدارس، مدرسة ولدي الإمام التي بنيت في عهد السلطان " أبي حمو موسى الأول "، إكراما لدخول ابني الإمام تلمسان سنة 710هـ، والمدرسة التاشفينية التي بناها "عبد الرحمان أبو تاشفين" (718هـ-737هـ).

كما نجد المساجد والزوايا التي كان لها الفضل الكبير في إنشاء جيل مثقف متعلم من أهمها: مسجد الجامع الكبير الذي بناه المرابطون بتلمسان كان يضاهي جامع الزيتونة بتونس، وجامع الأزهر بالقاهرة، ومسجد سيدي أبي الحسن الذي أسسه السلطان أبو سعيد عثمان سنة 696هـ، و يعدّ هذا المسجد تحفة فنية معمارية[2].

مما لاشك فيه أن هذه المدارس والمساجد، كان لها الدور الفعال في نشر العلم وتحفيز الطلبة على التعلّم، بداية من حفظ القرآن والحديث، وتعلم الكتابة والقراءة في المساجد، إلى تعلم العلوم الأخرى في الكليات الكبرى.

تعلق أبو حمو بالفنون والعمران، وأكبر عمل شهد له التاريخ هو المنجانة التي زين بها قصره، إذ تفنن" أبو الحسن علي بن أحمد " في تصميمها وإنشائها

[1]- آمنة نوري،" بنية الخطاب في شعر أبي حمو موسى الزياني" ، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في الأدب المغربي القديم ، السنة الجامعية2009-2010، ص9.

[2]- ينظر، عبد الحميد حاجيات،" أبو حمو موسى الزياني،حياته وآثاره"، ص36-37.

« هي خزانة ذات تماثيل من فضة يعلوها طائر فراخه مضمونة تحت جناحيه، وأبوابها مهتزة عند كل ساعة تنفتح ليخرج من بابها عقابان يصدران صوتا، وفي فم كل منهما قطعة نحاسية يلقيان بها في وعاء يذهب بالقطعة إلى داخل الخزانة فترن، ويفتح باب الساعة لتبرز منه امرأة تحمل في يمينها إذبارة فيها اسم الساعة الحالية وبذلك يعرف الوقت بالتحديد »[1]، كما ترك لنا آثارا أدبية شهد لها الباحثون، فأبو حمو هو السلطان الشاعر الأديب، عني بكتابة الشعر، فقد بلغ مجموع قصائده أحدى وعشرين قصيدة، عالجت أغراضا شتى كالفخر والحماسة والرثاء ومدح الرسول.....

إضافة إلى كتابه الشهير«واسطة السلوك في سياسة الملوك »، هذا الكتاب الذي ألفه خصيصا لابنه " أبو تاشفين "، فبهذا يعتبر"أبو حمو موسى الزياني"رجل الأدب والشعر والسلطة.

3- نسبه ونشأته:

ارتبط نسب " أبو حمو" بـ " يغمراسن بن زيان"، هو" أبو حمو موسى بن يوسف بن عبد الرحمان بن يحي بن يغمراسن بن زيان "، ولد سنة (723هـ-1321م) بغرناطة، انتقل سنة ولادته رفقة والده إلى تلمسان عاصمة بني عبد الواد، أين نشأ وتعلم على أيدي أشهر علماء العربية والعلوم الدينية هناك.

[1]- المرجع السابق، ص180.

انتقل في سن الرابعة عشر، عندما استولى بني مرين على تلمسان سنة 737هـ إلى فاس مع أهله، أكمل دراسته بفاس وفي سنة 750هـ سافر مع أبيه إلى مدينة "ندرومة"* أين تزوج ورزق بـ "أبو تاشفين"[1].

سنة(753هـ-1352م)التجأ إلى تونس مستجيرا بالوزير"محمد بن تافرجين"[2] وبعد موت " أبو عنان " سلطان بني مرين اغتنم هذه الفرصة، فكانت سنة (760هـ-1359م) سنة نزوله بتلمسان وإعادة حكم بني عبد الواد، فجلس على عرش أجداده وتولى الحكم.

4-أهم إنجازاته وآثاره:

قام" أبو حمو موسى الزياني " بإنجازات كثيرة منها:إحياء المولد النبوي الشريف فمع بداية توليه الحكم أولى لهذا الأمر الكثير من الاهتمام، حتى أنه كان يشرف عليه بنفسه، فقد كان يجلس على عرشه مستمّعا للقصائد المعدة لهذه المناسبة، مرادا بهذا نشر تعاليم الدين والتقرب إلى الله عزّ وجلّ.

كما اهتم بالعلم وأهله، فعصره يعدّ « العصر الذهبي الزياني، ولما كانت تلمسان موطن زرع وضرع، فقد اجتذبت إليها خلقا كثيرا، ولما كان السلطان أبو حمو نفسه أديبا ومفكرا فقد اجتمع حوله وفي بلاطه أدباء كثر »[3].

*- ندرومة: مدينة تقع شمال غربي تلمسان.

[1]- ينظر ، عبد الحميد حاجيات، " أبو حمو موسى الزياني،حياته وآثاره "، ص69-72.

[2]- ينظر، موسى بن يوسف أبو حمو بن زيان العبد الوادي، "واسطة السلوك في سياسة الملوك "، تق عبد الرحمان عون ومحمد الزاهي، دار بوسلامة للطباعة والنشر والتوزيع، تونس، دط، ص7.

[3]- مسعود بن ساري،" صورة السلطان في الأدب الجزائري القديم "، أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه في اللغة والأدب العربي، تخصص، الأدب الجزائري القديم،السنة الجامعية 2013م-2014م.ص118.

شيّد مدارس ومساجد ساعدت في تكوين الطلبة وتحقيق مرتبة ثقافية عالية،من أهم مدارس عصره المدرسة اليعقوبية التي أسسها بنفسه سنة(760هـ-791هـ). وأهم المساجد: مسجد سيدي إبراهيم المصمودي الذي أسسه إلى جانب المدرسة اليعقوبية سنة 765هـ.

اعتنى كذلك بتكوين الطلبة وإعدادهم، فقد جعل الأستاذ مجرد مشرف ومرشد، وأوكل للطلبة مهمة البحث والتقصي، وهذا الأمر ترك بصمته في تاريخ الأدب الزياني، فنجد عدد كبير من العلماء والباحثين في شتى مجالات العلوم: في العلوم الدينية " أبو عبد الله محمد بن احمد الشريف الحسني "، " أبو علي منصور بن علي بن عبد الله الزواي "، وفي العلوم الإنسانية والاجتماعية " أبو زكريا يحي بن خلدون " وهو كاتب السلطان الزياني، و" أبو عبد الله محمد بن يوسف القيسي الثغري " ؛ الذي أثرى الأدب الزياني كما ترك قصائد كثيرة، وفي الطب والعلوم الطبيعية نجد " أبو عبد الله الشريف"[1].

5- نهاية حكمه ووفاته:

عاش أبو حمو سلطانا عادلا خلف أولادا كثر هم: محمد المنتصر، محمد أبو زيان يوسف، عمر، الناصر، عثمان، فارس، عبد الله، أحمد، السعيد، علي، يعقوب، أبو بكر، داوود وزيان. مع اشتداد الغيرة بين الأبناء، وطمع وجشع أبو تاشفين في تولي الحكم وغيرة هذا الأخير من إخوته الأربعة الأولين، الذين كانوا قريبين جدا من والدهم، فوضع كل واحد منهم والي على المناطق الشرقية، وتحالف " أبو تاشفين" مع المرينيين ضد والده، هذا كله جعل " أبو حمو" بداية ينتقل من تلمسان إلى الجزائر العاصمة أين استقر مع دعمه المتواصل لأبنائه الآخرين بعيدا

[1]- ينظر، عبد الحميد حاجيات،" أبو حمو موسى الزياني، حياته وآثاره "، ص 159-160.

عن أنظار " أبو تاشفين " لكنه وبمساعدة جواسيسه استطاع معرفة كل الأخبار عن الأب وأبنائه خاصة بين " أبو حمو " وابنه " المنتصر " الذي كان يمده بالمال ، هذا الشيء أشعل نار الغيرة لديه فقرر القبض على إخوته المتواجدين بالمدن الشرقية، والتدبير لمقتل أبيه. حاول « أبو حمو» الفرار من منطقة إلى أخرى بداية من اعتقاله بقصبة وهران، ثم رجوعه إلى تلمسان واعتقاله في القصر ، لكن الوالد لم يلبث هناك كثيرا، إذ طلب من ابنه أن يسمح له بالتوجه إلى الحجاز لأداء فريضة الحج، وبحنكته تمكن من الفرار فنزل ببجاية وبعدها استقر بمتيجة، فجهز العدد والعدة هناك.

سمع " أبو تاشفين " بهذا الخبر فقرر الهجوم بنفسه على والده، وإرسال إبنه لمحاربة أخوه. في هذه المعركة استطاع العم القضاء على إبن الأخ هنا فشلت مهمة " أبو تاشفين" في القضاء على والده، ولم يستطع في هذه المرحلة جمع عدد كبير من الحلفاء هذا الأمر ساعد " أبو حمو" بالعودة إلى تلمسان والاستيلاء عليها مجددا.

عاد شمل العائلة سنة 790هـ، ما عدا "أبو تاشفين" الذي كان مشغولا في هذا الوقت بإغراء بني مرين، وقد نجح في ذلك وإستطاع ضمهم إليه.

وساعده هذا في إنشاء جيش قوي للزحف نحو تلمسان، و" أبو حمو" بمعرفة هذا الخبر غادر تلمسان، وقصد جبل ورنيد أين إشتد الصراع بين جيش الأب والإبن، وهنا لقي أبو حمو مصرعه سنة (791هـ/1388م)على يد أصحاب إبنه الذين عادوا برأسه إلى " أبو تاشفين"[1].

[1]– ينظر، المرجع السابق، ص153–154.

جشع وطمع الإبن في الحصول على العرش، وحب السلطة جعل الإبن يقضي على والده دون أن يرف له جفن.

ثانيا: ملخص كتاب "واسطة السلوك في سياسة الملوك":

ألف السلطان "موسى بن يوسف أبو حمو بن زيان العبد الوادي" كتابه سنة 765هـ بتلمسان، تمتع بقيمة كبيرة ميزته عن باقي كتب الآداب السلطانية، فهو مخطوط بقلم السلطان نفسه.

قصد الملك بتأليفه هذا الكتاب، تقديم كم هائل من الإرشادات و النصائح السياسية، و الأخلاقية، و الدينية و الاقتصادية، و الحربية...لإبنه ولي العهد "أبو تاشفين"، فقد جاء في مقدمة الكتاب قول "أبو حمو":« فرأينا أولى ما نتحف به ولي عهدنا، و وارث مجدنا، و الخليفة إن شاء الله تعالى من بعدنا، وصايا حكمية، و سياسية عملية علمية، مما تختص به الملوك و تنتظم بها أمورهم انتظام السلوك، و لذلك سميت هذا الكتاب بواسطة السلوك في سياسة الملوك...»[1]، "فأبو حمو" في كتابه هذا جمع خلاصة تجاربه و خبراته التي واجهته خلال فترة توليه الحكم، فهو لم يترك أي باب إلا و تحدث عنه، و جاء نص الكتاب في شكل وصايا مختلفة أكد على ابنه ضرورة التقيد بها، كونها ساعدت السلطان "أبو حمو" في تسيير أموره، و بذلك ستساعد "أبو تاشفين" هو الآخر، في تنظيم شؤونه.

[1]– أبو حمو الزياني، " واسطة السلوك "، ص 19.

ذكر المؤلف في أول و آخر الكتاب، قصائد من نظمه، منه قصائد كان قد ألقاها بمناسبة إحياء ذكرى المولد النبوي الشريف، و قصائد صور لنا فيها ما واجهه أثناء تنقلاته، و ما عاناه حتى أن استقر بتلمسان، كما أثرى نصه بتقديم الحجج و البراهين، فهو إن تحدث عن موضوع ما، استشهد بأحداث تاريخية موثقة، كذلك اعتماده على الأخبار و الرموز، و ضرب الأمثال، و نجد له أيضا استخدام القليل من الآيات القرآنية، و الأحاديث النبوية الشريفة، فقد استعمل في مقدمة كتابه قول الرسول صلى الله عليه و سلم:« الأولاد من رياحين الجنة»[1].

[1]– المصدر السابق، ص19.

قسم المؤلف كتابه إلى أبواب كبرى، أدرج تحت كل باب فصول و عناوين مختلفة، نذكرها كما يلي:

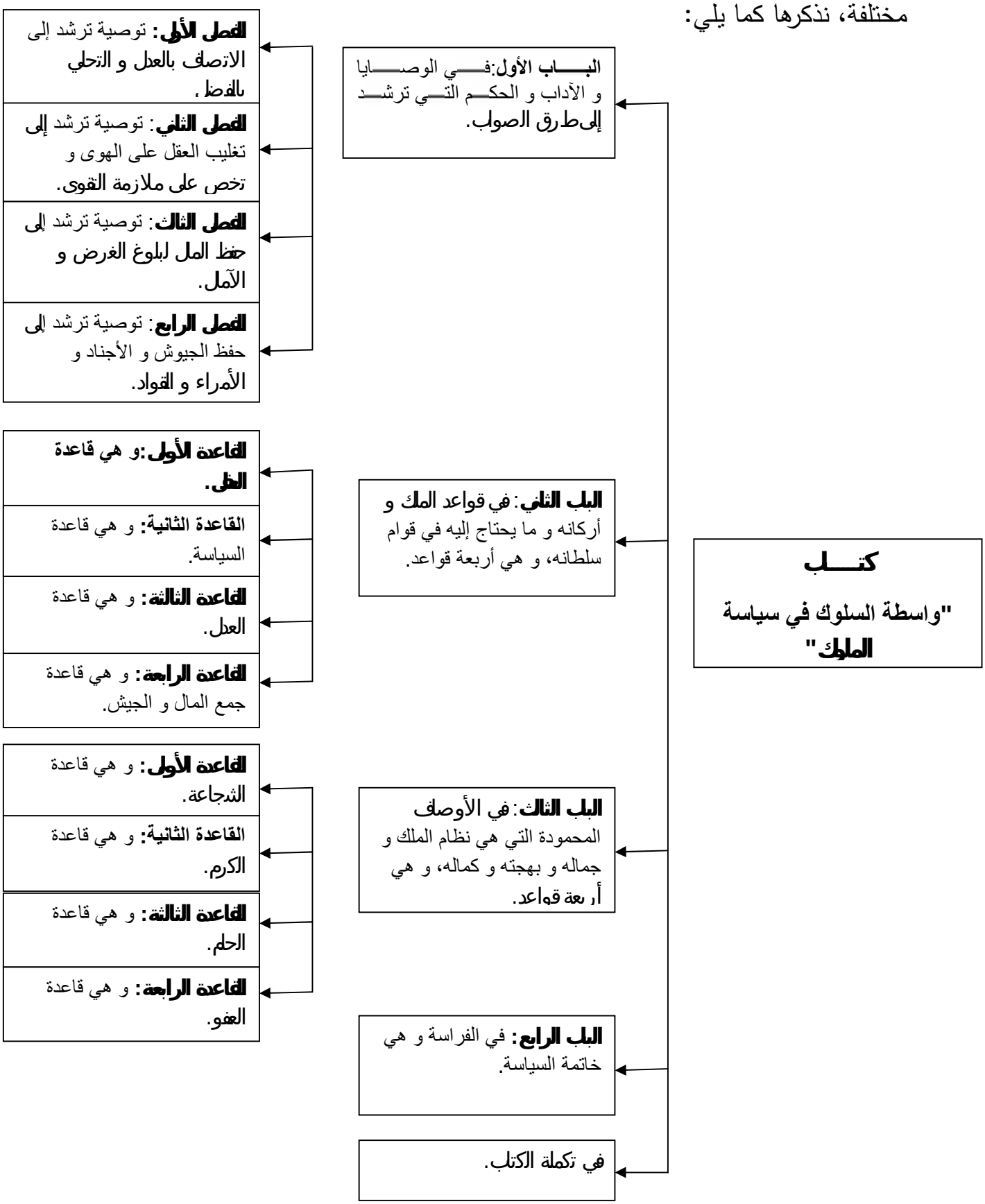

و خـتم "أبـو حمـو" كتابـه، بمجموعـة مـن النصـائح الدنيويـة و الأخرويـة، مخاطبـا إبنـه بضـرورة إتبـاع مـا جـاء فـي الكتـاب، و ذلـك بجعلـه المنهـاج الـذي يقتـدي بمذهبـه، و السـراج الـذي يستضـيء بـه، و أكـد عليـه بـأن التوكـل لا يكـون إلا علـى الله عـز و جـل، و أن يتبـع خطـى الـرحمن، و أن يفـوض أمـره لله تعـالى لأن أمـره لـن يخيب.

بهـذا يكـون الكتـاب تحفـة فنيـة، و دليـل قـوي علـى شخصـية "أبـو حمـو" و مـا وصـل لـه مـن تشـبع سياسـي، و دينـي، و ثقـافي، و بلاغـي...، بمؤلفـه هـذا نسـتنتج أنـه كـان حريصـا علـى دوام سـلطته، حتـى بعـد وفاتـه عـن طريـق ابنـه فهـو بتتبـع خطـى والده، يكون قد أحيا مجده ، ليؤرخ تاريخه في الحكم ووعيه الدائم بجمالية الوجود .

ثالثا: إحـــــــــالات الأنا :

1-ضمير المخاطب:

رأينـا أن المؤلـف "واسـطة السـلوك فـي سياسـة الملـوك"، كـان موجهـا مـن السـلطان "أبـو حمـو موسـى الزيـاني"، إلـى ولـده و ولـي عهـده "أبـو تاشـفين" و هـذا يـدل علـى اهتمـام الكاتـب الكبيـر بـالمتلقي، فيجـب إذا علـى المؤلـف أن يكـون اسـتعماله بنسـبة كبيـرة لضـمير المخاطـب، فـالغرض مـن اسـتعمال هـذا الضـمير تفاعـل واسـتجابة القـارئ مـع الـنص، و هـذا مـا أراده "أبـو حمـو"، كمـا أن الخطـاب بصـيغة "أنـت" يفـتح للقارئ سلطة على النص فيجعله يتمسك بالعمل الأدبي أكثر.

أخـذ ضـمير المـتكلم نسـبة كبيـرة مـن الكتـاب بلغـت 73% مـن النسـبة الكليـة، و هـذا التوظيـف معقـول، لأن "الواسـطة" جـاءت علـى شـكل أوامـر و نـواهي خـص بهـا السـلطان ابنـه، مخاطبـا إيـاه بـذلك، و قـد ورد هـذا الاسـتعمال فـي مواضـع و أقسـام شتى نذكرها كما يلي:

أ- في الإتصاف بالعدل و التحلي بالفضل و تغليب العقل على الهوى:

نجد في هذا الفصل، توظيفا لصيغة المخاطبة، فقد استعمل بكثرة فعل الأمر الذي أتى بمعنى النصح و الإرشاد، و هذا في قوله: «يا بني، إلبس ثياب العفة، إرتد برداء الوقار، و تتوج بتاج الحياء، و تزيأ بزي السكينة و تقلد بصارم العدل، (...)، إلتزم الصبر عند الشدة،(...)، و أظهر المحبة لمن تحب(...)، لا تنس ذكر الله في سرك و لا في جهرك ...»[1]، هنا نجد الاستعمال المتكرر لفعل الأمر، إضافة إلى قوله " يا بني" فهو يلفت انتباه القارئ إلى ما يجب العمل به، من إتباع العقل، لما له من راحة و حسن تسيير، يقول الأمير عبد القادر:« قوة العقل هي إحدى القوى الأربعة التي إذا اعتدلت في الإنسان يكون إنسانا كاملا و هي قوة العقل، و قوة الشجاعة، و قوة العفة، و قوة العدل... فمن اعتدال قوة العقل يحصل حسن التدبير و جودة الذهن، و ثقابة الرأي و إصابة الظن و التفطن لدقائق الأمور»[2].

فهنا إشادة على أهمية العقل و مكانته، إلى جانب الابتعاد عن الهوى لأنه مضيعة للوقت و الخلق، و فيه بعد عن تعاليم الدين، كما يأمر ابنه بالتحلي بالأخلاق الفاضلة، و أن يتقرب من الله عز و جل سرا و علانية، كما يعود في موضع آخر مؤكدا على ابنه بضرورة الاتصاف بالعدل يقول:« إعلم يا بني، أن الملك بناء، و العدل أساسه، فإذا قوي الأساس دام البناء، و إذا ضعف الأساس

[1] - أبو حمو الزياني،"واسطة السلوك "، ص23-24.

[2]- الأمير عبد القادر الجزائري،" ذكرى العاقل و تنبيه الغافل"، الجزائر، 2010،ص9.

انهار البناء»[1]، فبالعدل يحافظ الملك على سطوته و ملكه و يحقق الدوام لمملكته، أما إذا كان الإنسان ظالما، فهذا إنذار بخراب مجده وسقوط دولته.

ب- في حفظ المال وبلوغ الغرض والآمال:

أشار الكاتب هنا، إلى أهمية المال، و كيفية الحفاظ عليه، ففي نظره من أحسن التصرف فيه، و استعمله فيما ينتفع به، تصدى لعدوه، و وقف في وجهه و حقق مراده و هدفه، كما أكد على ابنه بضرورة وضع المال في أيدي أمينة و الاعتماد على أهل الثقة في جمع هذه الأموال، و أن يعطي كل ذي حق حقه فالملك بحسن تسييره يتقرب من الرعية، كما يحقق النماء و الازدهار داخل مملكته، و قد خاطب ابنه بذلك يقول:«اعلم يا بني أن المال به تدفع العدى (...) و به تستفتح الصياصي*(...)، يا بني، استعن بثقات عمالك (...)، يا بني حاسب عمالك، يحفظوا مالك(...)»[2]، يوجه ابنه إلى ما يحفظ به ماله، و هذا تلميح لما يجب أن تقوم عليه قوانين الدولة الداخلية، إذ تتوافق الشؤون التشريعية و التنفيذية، بحيث تكفل رقابة و صيانة المال العام استقرار و تطور الدول.

ج- في حفظ الجيوش والأجناد والأمراء والقواد:

أوصى "أبو حمو" ابنه بالجيش، لما له من أهمية كبيرة، فهو الحصن و السند و الأمن الذي به يتغلب على الأعداء، و به يحقق السلام و الوئام، و ذلك لا يكون إلا بحسن معاملتهم، و استمالة قلوبهم، بالعطف عليم و احترامهم و مكافأتهم لإيصالها لهم كما يرى ابن خلدون« تقل أعدادهم و إذا قلت أعدادهم تضعف

---

[1]- أبو حمو الزياني، " واسطة السلوك "، ص144.

*- الصياصي: قال تعالى:« وأنزل الذين ظاهروهم من أهل الكتاب من صياصيهم» سورة الأحزاب الآية 26، جمع صيصية و هي الحصن و المعاقل.

[2]- أبو حمو الزياني، " واسطة السلوك " ، ص28- 29.

الحماية، و تسقط قوة الدولة، و يتجاسر عليها من يجاورها من الدول أو من هو تحت يديها من القبائل و العصائب و يأذن الله فيها بالفناء الذي كتبه على خليفته»[1]، فالملك حين وضع هذه الوصايا كان على يقين، بأن بها يأمن الملك من الهزيمة و سقوط الدولة و يحيط بها العدو.

في هذا الفصل أيضا، قدم مجموعة من الصفات التي وجب على ابنه الاتصاف بها، و هي: الصدق في القول، عدم الإكثار من الضحك، و أن يكون صمته أكثر من حديثه لأن كثرة الحديث تدل على الثرثرة كما أمره بإظهار الهيبة في الجلوس، و الحفاظ على طهارة الجسم و الثوب و المجلس، و عدم الاغترار بالنفس.

د- في قواعد الملك وأركانه:

ابتدأ هذا الباب بقوله: «اعلم يا بني»، بنبرة الموقن و الواثق يدعوه هنا لمعرفة ما على الملك الحقيقي القيام به، فينوه إلى ما يصلح الدنيا و الآخرة، من حسن النية مع الله تعالى، و مع الرعية، و أن تكون سلطته على هواه، و ذلك لا يكون إلا بإحكام العقل، خاطب ابنه بذلك فقال:« فكذلك ينبغي لك يا بني أن تكون فافهم»[2]، فهو في كل مرة يعود ليشدد على ابنه بإتباع ما يمليه عليه.

و قد ألزمه بالتدبر في الشؤون السياسية، متمهلا إذا أصدر الأحكام بمشاورة الفضلاء، و العقلاء، و النصحاء، ابتداء من اختيار الوزراء و القضاة على اعتبارهم أهل التقوى و الورع، و تحمل المسؤولية، لكي لا يخيبوا ظنه و ثقته، فيقول:« فأما وزراؤك يا بني، فيجب عليك أن تختار وزيرا كبيرا، مهذبا خطيرا،

[1]- عبد الرحمن بن خلدون، " المقدمة" ، ص70-71.

[2]- أبو حمو الزياني ، " واسطة السلوك "، ص50.

بالأمور بصيرا،(...)، و أما أعوانك فلتتخير لنفسك عونا تجعله مقدما على أعوانك(...)، و أما قوادك فلتتخير قوادا من أنجاد جندك، زعماء صادقين في محبتك وافين بعهدك»[1]، فبالمحافظة على هؤلاء الرجال الأكفاء الذين يحملون أساس المملكة وجب منحهم حظوة و رفعة، كما أننا نلاحظ في قوله السابق كثرة ورود الأحوال (كبيرا، خطيرا، بصيرا) التي من شأنها إماطة اللثام عن صفات هؤلاء الوزراء.

في هذا الباب أيضا نلتمس شخصية "أبو حمو" الدينية، المتشبعة و الغنية بمكارم الأخلاق، و تعاليم الدين الحنيف، فهو عالم بشرائع الدين و فقيه فيه فهو ينظر إلى نفسه أنه خليفة الله في الأرض، و أن من واجبه ترسيخ هذه التعاليم في قلوب رعاياه، و السير على خطى الأنبياء و المرسلين، من أجل النجاح في الدنيا فبحكمته الدينية واجه أعداء مملكته (المرينيين و الحفصيين)، إضافة إلى نيل رضى الله تعالى و ربح الدرجة الرفيعة في الآخرة، و هذا الإيمان الكبير بالله عز و جل، جعل للدين مكانة مرموقة في كتاب الواسطة، الذي أضاف على حكم السلطان الشرعية و القابلية في الخلود، فهو قد طلب من ابنه أن يولي وجهه لله تعالى وحده، و أن يوكل أمره له عز و جل، كما ذكّر ابنه بأن يوم الجمعة يوم للطاعة، و الابتعاد عن أمور المملكة و انشغالاتها.

و من جهة أخرى وضع بعض الإرشادات التي من شأنها تعليم "أبو تاشفين" اليقظة، و العزم، و المهارة في تدبير الأمور، كنوع من الخواتم النافعة التي عادة ما يدرجها الأئمة في أواخر خطبهم.

[1]– المصدر السابق، ص60– 87.

هـ- في الأوصاف المحمودة التي هي نظام الملك و جماله:

ذكر "أبو حمو" صفة الشجاعة التي تعتبر من صفات الملك المقدام، و أساس هذه الشجاعة هو الصبر في المواقف الصعبة، و مواجهة الأمور دون خوف أو تردد، و عدم التسرع و الحذر، فالشجاع من يظفر بعدوه و يقضي عليه، بدهائه و حنكته، يقول المؤلف:« ينبغي لك، يا بني، و إن كنت شجاعا أن تكون حاضر الذهن عند الملاقاة(...)، يا بني، لا تخل شجاعتك من الرأي(...)»[1]. فقد عمد إلى ملازمة الحذر و الفطنة فعادة المتهور الهلاك، و نبهه أيضا إلى الاستشارة أثناء الحرب، فلن يتأثر نجاح القائد إلا بالتورية في الأمور بما تفرضه تقنيات التسيير الداخلي و الخارجي.

و تحدث أيضا عن ضرورة الكرم، بأن يكون كريما على نفسه، و على رعيته دون تفريط أو تقصير، لأن الكريم تميل إليه القلوب، و تحبه النفوس، كما أكد على صفة الحلم، التي هي من صفات الخالق عز و جل، فبحلمه و عطفه على خاصته و رعيته، يكون قد أقام حدا من حدود الله تعالى، و ربح مكانة في قلوب العامة، قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾[2].

و هو لم يهمل صفة العفو كذلك، فهي من الصفات المحمودة، و من اتسم بها كان ملكا بكل معنى الكلمة، لكن في إطار العفو عمن يستحق العفو، و معاقبة من يستحق العقاب، يقول الكاتب: « يا بني من أفشى سرك سرا فعاقبه سرا، و من أفشى سرك جهرا فعاقبه جهرا»[3].

---

[1]- المصدر السابق، ص154-155.

[2]- القرآن الكريم برواية ورش عن نافع، سورة آل عمران ، الآية [155].

[3]- أبو حمو الزياني ، " واسطة السلوك"، ص167.

و ثلاثية الشجاعة و الكرم و العفو تعكس ذات السلطان المتزنة و الحكيمة، فالشجاعة تعين على الكرم و الكرم يساعد على العفو بإنزال الأفراد منازلهم المناسبة.

و-في الفراسة:

أكد "أبو حمو" على "أبو تاشفين"، بالفراسة، هذه الملكة الربانية، و التي يعرف من خلالها ما يضمره الشخص الآخر، عن طريق دلالات و سمات خارجية تترجم ما بدا، و السلطان هنا بتفرسه الطويل أثناء فترة حكمه و مراسه تولد لديه علم خاص بمعرفة خصوصيات البشر و أحوالهم، و قد وضع لابنه في كتابه هذا معاني هذه الحركات و الإيماءات، و التي تمكنه من اختيار الوزير و الكاتب و الصاحب، و قائد الجيش و أفراده، إذ يقول:« فاعلم يا بني أنه ينبغي لك أن تتفرس في وزيرك الذي اتخذته لرأيك(...) و تدبيرك(...)»[1]، من بين العلامات التي ذكرها الوالد في تفرسه، مثلا في اختيار الجيش، فإذا كان الجيش منصرف إلى حياة اللهو و اللعب مع النساء، فهذا النوع إذا لا يعول عليه في الشدائد و المحن، أما إذا كان الجيش مهتم بالعدة الحربية، و الممارسات القتالية و عند مقابلتهم العدو لا يطأطئون رؤوسهم، و يزدادون قوة و شجاعة فهذا هو الجيش الذي يقود الملك إلى الربح في الحروب و المعارك.

ز-في تكملة الكتاب:

بدى لنا هنا الاستعمال المتكرر و المتتالي لضمير المخاطب، فنحن في هذا الجزء لا نجد حديث عن أحداث أو تجارب شخصية، بل نلحظ وصايا و نصائح مستقلة موجهة إلى "أبو تاشفين"، تدور حول التوفيق بين الأمور الدنيوية و

[1]- المصدر السابق، ص170.

الدينية، و أكثر هنا من تكرار فعل الأمر ، يقول:« أخلص نيتك في الدعاء(...)، أخلص سريرتك مع الله تعالى (..)، اعلم أنه كما لا تحب أن يعصيك خديمك فيما تأمره به، فكذلك لا ينبغي لك أن تعصي ربك فيما يأمرك به»[1]، جعل في مقدمة كل شيء التوكل على الله تعالى، لأنه تعالى لا يخذل من يرفع يديه إلى السماء بنية و حسن سريرة، و نهاه في هذه الخاتمة من أكل مال اليتيم، و دعم الإجرام، و الكذب لما له من مذلة و إهانة لقائله، كما أمره بإقامة شرائع الله تعالى، و الإكثار من عمل الخير.

يقول الكاتب: « وقد وضعنا لك يا بني هذا الكتاب، و جمعنا لك ما يصلح لك بين أمور الدنيا ... فتكون عهدتك كلها التوكل في جميع أمورك على الله تعالى و التفويض له »[2].

مما يؤكد تحلي السلطان بروح الدين و تعاليمه بحيث تتراءى معانيه في كل حرف و كل لفظ مدعما ميل أبو حمو الزياني إلى الحكم الرشيد و السياسة العادلة، معليا من شأن مخاطبه (يا بني) و معلنا قربه منه و حبه له لأن الولد عنوان استمراره فهو أثره الذي ضمن به خلود حكمه فمن خلال مخاطبته لابنه يخاطب ذاته المتطلعة للبقاء و النافدة من الزوال و يزعم سلامة اختياراته و نجاعة سلوكياته في الحكم، إذ انتقى من الأخبار الدالة على سعة اطلاعه و كثرة خبراته و صدق كفاءته.

[1]– المصدر السابق، ص189.

[2]– المصدر نفسه، ص 189.

2-ضمير الغائب:

لم نجد استعمال كبير لهذا الضمير، و هذا أمر بديهي، كون الواسطة جاءت على شكل نصائح و وصايا مقدمة لشخص معين، وجب مخاطبته، إضافة إلى أنه الاستعمال المثالي لضمير الغائب، يخلق هوة كبيرة بين المؤلف و سيرته و النص الذي بين أيدينا، يمثل سيرة "أبو حمو موسى الزياني"، و نجد استعماله لهذا الضمير في مواضع قليلة، قدرت نسبة توظيفه ب 12% تمثلت فيما يلي:

أ- في قواعد الملك و أركانه:

تمثل استعمال ضمير الغائب "هو" فيما أورده "أبو حمو"، عن شخصية الملك الذي يجب الاقتداء به، راجيا من ابنه الامتثال لهذا الملك، و دلالة ذلك استعماله لفظة « هو الملك الذي (...)»[1]، فباستعمال ضمير الغائب يوضح تلون الذات المتكلمة، و الموجهة ضمن قالب الإرشاد و التعليم، لأن عبارة « هو الملك الذي» تؤكد براعة أبو حمو الزياني في إقناع محاوره المعنوي "أبو تاشفين"، إذ أطلق الرجل أحكاما عامة تتطلب من الولد الإلتزام بها دون تردد، كما تعين المتلقي على أن الملك يفضل حضوره المعنوي، أكثر من غيابه لاعتبارات المقام الذي يمثله "السلطان".

عاد في موضع آخر، و استعمل ضمير الغائب، فيقول: «إن من حزم الملك و سياسته، ويقظته و رئاسته، أن يعتد لنفسه بأربعة أمور(...)»[2] ، في هذا القول توظيف آخر للملك الغائب، الذي وجب على الابن الاهتداء بخبراته و تجاربه ليثمر ما أثمره، و ينير طريقه بشعلة الملك الممثل له.

[1]- المصدر السابق، ص 50.

[2]- المصدر نفسه، ص 113.

ب- في الأوصاف المحمودة التي هي نظام الملك و جماله:

هنا توظيف لصيغة الغائب: يقول:« إذا كان الملك منصورا، مطاعا، ترهبه الأعداء، و تطمئن به الأولياء، يعتد به جيشه في مواقع الحروب(...)»[1]. فهنا ذكر صفات الملك الشجاع، الذي يتمهل في مواجهة الأعداء، و لا يتسرع لأن التسرع نتائجه وخيمة، و الصبر في المواقف الحرجة، و الحذر، و أن يكون كريما، و أن يبعد البخل عنه، فهنا أيضا بين لإبنه صفات الملك الغائب التي وجب عليه الإتصاف بها.

3- ضمير المتكلم:

من المعلوم أن في أي سيرة ذاتية، نجد توظيفها لضمير المتكلم سواء (أنا أو نحن) فلا يخفى على أي أحد، أن السبب الرئيسي وراء كتابة السيرة الذاتية، هو ذلك الحس النرسيسي الكامن داخل ذات الكاتب، و هذا الأمر وجدناه بنسبة قليلة عند "أبو حمو" تجسد أغلبه في قصائده، و هذا يبين سلطة الشعر و تميزه عند المؤلف، وصلت نسبة توظيفه لهذا الضمير 5% ورد فيما يلي:

أ- في حفظ الجيوش و الأجناد و الأمراء:

وضح الكاتب في هذا الجزء الأحداث التي وقعت له هو و جماعته، و كيف واجهوها من استرجاع أراضيهم من أيدي المرينيين، و إعادة استفتاحها، يقول ناظما:[2]

[1]- المصدر السابق، ص154.

[2]- المصدر نفسه، ص37.

وَجِبْتُ الفَيَافِي بَلْدَة بَعْدَ بَلْـــدَةٍ وَطَوَعْـتُ فِيهَا كُل باغٍ وَبَـاغِـم

وَجِئـتُ لأَرْض الزَابِ تَذْرُفُ أَدْمعِي لِتِذْكَـارِ أَطلالِ الرُسُومِ الطَوَاسِـمِ

استعمل هنا الكاتب أفعال دالة على ذات المتكلم، تترجم ألم الشاعر الكبير الذي بعد عودته إلى بلاده الزاب، لم يجد هناك إلاّ الرسوم الطواسم، و هذا يبين مدى حب الشاعر لأرضه و شعبه، و مدى ارتباطه الكبير بالمكان(أرض الزاب) التي تمثل أرض السمو و الرقي.

تكرر توظيف المتكلم، أين نجد الكاتب يذكر حادثة وقعت معه، لمّا أتاه رسول من ملك المغرب المريني أبي سالم، الذي تفرس فيه المكر و الخديعة و الذي أرجعه خائبا إلى وزيره، و في هذا برهان على دهاء و ذكاء "أبو حمو" و هذا في قوله:« و قد اتفق لنا ذلك(...)»[1]، وظف هنا ضمير المتكلم (نحن)، الذي يدل على ذات أبو حمو، و من معه من وزراء و وجهاء، و هنا دلالة على قوة السلطان التي يمتلكها في إيصال المعنى للمتلقي.

ب-في تكملة الكتاب:

نجد توظيف آخر لهذا الضمير في قوله:« وضعنا، حررنا، شرحنا، جمعنا،(...)، و هذا دأبنا في كل عام، و سننتا على الاستقرار و الدوام»[2]. فهنا استعمل المؤلف أفعال جاءت بصيغة ذات الجماعة المتكلمة، في قالب من التذكير بما ورد في الواسطة، و هذا يؤكد ما لها من ثقل ايجابي في شتى مناحي الحياة.

[1]- المصدر السابق، ص184.

[2]- المصدر نفسه، ص189-194.

نستنتج من خلال ما سبق، أن النص الذي بين أيدينا يمثل سلطة الأب على الابن، ففي رأيه أن ما قدمه هو الصواب و الخير كله، و ما على الولد إلا الامتثال و الطاعة، حتى يضمن استمرار حكمه و نفوذ سطوته، حتى و إن لم يكثر الحديث بضمير المتكلم لفظا إلا أنه أوعز إليه إشارة، فهو مفتخر بأعماله التي ترسخ حبه لذاته.

مثل كتاب "واسطة السلوك" عدة شخصيات تقمصها "أبو حمو الزياني" فكان:

الأب الحنون و الحريص على نجاح ولده و تقدمه، و القائد الفذ المجسد لكاريزما الحضور المتناهي، و السلطان الحكيم المتمكن من بسط سيطرته على الأعداء و الطاعة على الأولياء، لأنه العليم بنفوس المحكومين و المتطلع لصالح شؤونهم، كما عمل على إرساء قاعدة الدين الدولة دون مغالاة أو تعصب، إذ عرفت تلمسان في عهده ازدهارا مس مختلف المجالات، كما عهدناه الشاعر الرصين العارف بفنون الآداب، و جماليات اللغة.

4- جمالية الإيقاع:

يعتبر حرف الروي أهم جزء في البيت الشعري، لما يعطيه من غنة موسيقية تطرب الآذان، يرى إبراهيم أنيس أن:« موسيقى الشعر تزيد من انتباهنا و تضفي على الكلمات حياة فوق حياتها، و تجعلنا نحس بمعانيه كأنما تمثل أمام أعيننا تمثيلا علميا واقعيا، هذا إلى أنها تهب الكلام مظهرا من مظاهر العظمة و الجلال و تجعله مصقولا مهذبا تصل معانيه إلى القلب بمجرد سماعه، و كل هذا مما يثير منا الرغبة في قراءته و إنشاده، و ترديد هذا الإنشاد مرارا و تكرارا»[1].ففي هذا القول برهان كبير على أهمية الموسيقى الشعرية، و فائدتها في القصائد و هنا وجد

[1]- إبراهيم أنيس، "موسيقى الشعر"، مكتبة الأنجلو المصرية، مصر، 1952، ط2، ص14.

الشاعر "أبو حمو" النافذة التي استطاع من خلالها إطلاق سراح مكنوناته، التي ترجمها في قصائده، التي عبرت عن قوته و شدته، إذ جسّد كتاب واسطة السلوك فردانية ذات السلطان بجمالية شعرية حصرناها في جبروت روي القصائد الواردة ، بفعل صيرورة المعنى المتمركز ضمنه ؛ وكأن الشاعر السلطان بإتكاءاته الإيقاعية يفعِّل توصياته التي اتخذت شكلا أدبيا حرك علاقة التأثير والتأثر بين سلطان كان وآخر سيكون.

نجد الشاعر السلطان غالبا ما يلتزم بروي واحد في القصيدة الواحدة و قد تردد استعماله لحروف يحبذها هو، عكست شخصيته، و هي: الميم و الباء والدال، و قد ذكرنا هذه الحروف لأن له قصائد طوال بها.

يقول الشاعر في قصيدته الميمية التي بلغت السبعة و التسعون بيتا:[1]

فَصارَتْ مُلوكَ الأَرْضِ تَأْتِي مُطِيعَةً إلى بَـابِنَا تَبْغي التمـاسَ المَكَـارِمِ

وَجَـاءَتْ لَنَا مِنْ كُلِ أَوبٍ وَوجْهَـةٍ تبَايِعُنَـا طَوْعـًا وَ فُـود العَمَائِـمِ

إِنَمَا المَـلِك الزَابِـيG[*]ولَسْـتُ بزَابِـئ وَلَكنَنِـي مُفنِـي الطُّغَـاةِ الأَعَاظِـمِ

فَقَمْنَـا بأَمرِ الله فِـي نَصْـرِ دِينِـهِ وَفِي كَـفِ مَا قَدْ أَحْدَثُوا مِنْ مظَالِـمِ

فَلِلَه مِنَّـا الحَمْـد وَالشّكـرُ دَائِمًـا وَصَلَى عَلَى المُختَارِ مِنْ آلِ هَاشِمَ

استثمر الشاعر في هذه الأبيات، روي «الميم»، و هذا الحرف يعتبر من الحروف المجهورة، و فيه ملامح توحي بالقوة و الشدة و هذا الاستعمال عكس لنا شخصية الشاعر القوي، فحرف الميم عند النطق به نشعر بذلك الانفجار الذي

[1]– أبو حمو الزياني، "واسطة السلوك "، ص41–42.

[*]– الزاب: المكان المرتفع من الماء، و يكاد يقتصر على تراب ولاية بسكرة.

يندفع به النفس إلى الخارج، فيحدث صوت مدوي، و هذا ما أراده الشاعر لإيصال المعنى لإبنه، فالشاعر هنا يفتخر بإهانة الأعداء، و يتوعد بالقضاء على كل من يحاول المساس ببلده من الطغاة الظلام فلا عدول عن هذا المنهج في حكم البلاد وحفظ الدين ، لذلك يشكر الله و يحمده بقوة و جلد الموقن الواثق .

في موضع آخر، نجد الشاعر يستعمل روي «الباء»، و هو حرف شديد، مجهور و انفجاري، و هذا الحرف يوحي بنوع من التشدد و التمسك بمواقف خاصة، و باستعماله يجد الشاعر فضاء أوسع للتعبير عن الموقف الذي يعيشه، والرغبة في الوصول إلى السامع و التأثير عليه لأنه شفع بحرف المد (الألف).

يقول الشاعر:[1]

فِي كلِّ عَامٍ يَسِير الرَّكَبُ مُرْتَحِلا وَقَدْ تَقَيَّدَتْ عَنْ فَرْضِي الذّي وَجَبَا

لَوْلا الخِلافَةُ شَدَّتْنِي قَلائِدُهَا لَمْ أَقْتَنِعْ بِخِيَالٍ أو بريح صَبَبَا

أَلا بِجِدِ السرَى وَالسَّيْرُ نَحْوِي رُبَى نَجْدٍ وَ كَاضِمَةٍ أكْرمُ بِهِنَ رُبَى

لَوْ كَانَ لِي قُدْرَةٌ مَا كُنْتُ أَتْرُكُهُمْ حَتَى أمُوتَ بِفَرْطِ الحُبِّ مُحْتَسِبَا

فَلَيْسَ يُطْفِئ لَهِيبَ الشَّوْقِ مِنْ كَبِدِي إلا بمَاءِ زَمْزَمَ يَا سَعْدَ مِنْ شَرِبَا

مِنِّي السَّلامَ عَلَى أَهْلَ الحطِيم و مِنْ أَمّ المَقَامَ وَطَافَ البَيْتَ مُرْتَقَبَا

أراد الشاعر بهذه الأبيات، إيصال رغباته المتمثلة في الشوق لأداء فريضة الحج، و زيارة الروضة الشريفة راثيا حاله المتشوقة لزيارة الأماكن المقدسة فيرجو وصول أحبته هناك حيث الراحة و الطمأنينة النفسية، و هو يناجي ربه آملا عفوه و ثوابه، لكن تمنعه مقاليد الحكم العسيرة و الثقيلة من بلوغ مراده المنشود.

[1]– المصدر السابق، ص198.

كما ورد له استعمال لروي «الدال»، و هو أيضا حرف شديد قوي، جهوري، يصلح للتعبير عن الشدة و الثبات على الأمر، و هذه صفات السلطان الحكيم والقائد الذكي.

يقول الشاعر:[1]

اِلَهِي هَبْ لِي مِنْكَ عَفْوًا وَ رَحْمَةً فَمَازِلْتَ يَا مَوْلَايَ تبْلِغْنِي القَصْدَا

وَ عَبْدُكَ مُوسَى لَمْ يَزَلْ فِيكَ رَاجِيًا وَمِنْ شِيَمِ المَوْلَى بِأَنْ يَرْحَمَ العَبْدَا

تَوَسَّلْتُ بِالمُخْتَارِ مِنْ آلِ هَاشِمَ أَجِرْنِي مِنْ النّارِ التِي أَضْرَمْتَ وَقَدَا

نَبِيٌ أَتَى وَالكُفْرَ بَادَ ضَلَالُهُ فَأَهْدَى الهُدَى للخَلْقِ بِأَحْسَنَ مَا أَهْدَى

هُوَ الرَّحْمَةُ الهَادِي المُشْفَعُ فِي غَدٍ هُوَ المُصْطَفَى المُخْتَارُ يُلْهِمُنَا الرَّشَدَا

هُوَ الذُخْرُ لِلْهَوْلِ الشَّدِيدِ إِذَا أَتَى وَمَنْ ذَا سِوَاهُ لِلْمَخَافِ إِذَا اشْتَدَّ

اقترن ظهور «الدال» هنا بملامح معنوية، فهذه الأبيات فيها دعوة من الشاعر لله عز و جل، أساسها نيل رحمة و رضا الله تعالى، كما نلتمس دعوة لذلك الإحساس الفائض بالبكاء، مخافة عقاب الله عز و جل، و الشاعر هنا على الرغم من قوته و شدته و شجاعته،إلا أنه مخلوق ضعيف أمام الخالق عز و جل.

فاختيارات الإيقاع تلبّس ملامح معنوية ،تسفر عن سعة ذائقته الشعرية و ثقته وعذوبة اختياراته اللفظية، و قد وصف رحلته نحو الملك و نوع في استعمال القوافي لتنوع خبراته في معرفة أحوال الناس بهدف جذب المتلقي و محاجاته ، وقد اعترف الدارسون ببلاغته الشعرية فكان«له من النثر الرائق و الشعر الفائق، ما ارتفعت

[1]– المصدر السابق، ص199–200.

صنعته من بلاغة الملوك و من العلم العقلي و النقلي ما جلا نوره عن الدنيا مدلهمات الملوك»[1].

أبرز شعر السلطان الزياني عاطفة متقدة ، فقد ركز على إشادته بالدين ورد المظالم ، بإقامة ميزان العدل فكانت القصيدة مطية لإعلان تلك السلوكيات الثقافية والإنسانية ، أرشدت ولي عهده من جهة وكل متطلع للقيادة والإدارة من جهة أخرى. تذوق الشعر والقفز على أوتاره الموسيقية يفطن ذهن المتلقي لأمور شتى قد نغفلها عن حياة السلاطين ، فانشطار تلك الذات بين القوة واللين يعكس شساعة الأفق الفردي وتلذذه بمكتسبات الطبيعة المادية والروحية ليؤكد حسن الإنصات لها بحياة التجربة والمراس .

[1]– محمد بن عبد الله التنسي، "تاريخ بني زيان ملوك تلمسان"، تح محمود بوعياد، المؤسسة الوطنية للكتاب– الجزائر، د ط، 1985، ص160–161.

الخـاتمـــة

الخاتمـــة

لقد كان موضوع "ملامح السيرة الذاتية في واسطة السلوك لأبي حمو موسى الزياني الثاني " رحلة شيقة في تضاعيف أدب السيرة، وقد وفقنا إلى مجموعة من النتائج المهمة التي أسهمت في بلورة انتماء الكاتب السلطان لميزان العدل والحق.

و من أهم النتائج المتحصل عليها:

- أن السيرة الذاتية كانت ظاهرة قديمة في الأدب العربي.
- السيرة تسجيل لمجموعة من التجارب و الخبرات.
- الدافع وراء كتابة السيرة الذاتية بداية هو حب الذات (النرجسية).
- للأدب السلطاني مؤهلات و شروط، تطرق لها الباحثون و النقاد أكدت مشروعيته.
- " أبو حمو موسى الزياني "، السلطان الشاعر الأديب، وقد سمي عصره بالعصر الذهبي.
- " واسطة السلوك في سياسة الملوك "، مثلت سيرة " أبو حمو "، بحديثه عن تجارته و خبراته الطويلة في دواليب حكمه و متاهاته.
- أراد " أبو حمو " بمؤلفه دوام سطوته، من خلال توجيه مجموعة من الوصايا السيرية إلى ولده " أبو تاشفين ".
- جاءت " الواسطة " على شكل وصايا و نصائح ساعدت المتلقي المتخصص في تسيير أمور مملكته، وهذا الكتاب مميز عن باقي الكتب الأخرى ففيه الشعر والنثر معا.
- أفادنا " أبو حمو موسى الزياني "، بمعرفة تاريخ الدولة الزيانية، و أهم الأحداث الجارية فيها من علاقات إنسانية خاصة وعامة جسدها بطريقة فنية و بلغة سليمة.

قائمة المصادر

والمراجع

❖ **القرآن الكريم برواية ورش عن نافع**

أولا: المصادر

موسى بن يوسف أبو حمو بن زيان، "واسطة السلوك في سياسة الملوك"، تق تح عبد الرحمن عون، محمد الزاهي، دار بوسلامة للطباعة و النشر و التوزيع، تونس دط.

ثانيا: المراجع

1) إبراهيم أنيس، "موسيقى الشعر"، مكتبة الأنجلو المصرية، مصر، 1952 ط2.
2) أبو أحمد ابن قتيبة، "عيون الأخبار"، تح داني ابن منير الزهوي، المكتبة العصرية، بيروت، 2003، ج2.
3) إحسان عباس،" فن السيرة "، دار صادر بيروت، دار الشروق عمان، ط1 1996.
4) أحمد بن محمد المقري، " نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب"، تح إحسان عباس، دار صادر، بيروت، د ط، 1968.
5) أمل التميمي، " السيرة الذاتية النسائية في الأدب العربي المعاصر " المركز الثقافي العربي الدار البيضاء،المغرب، ط1، 2005.
6) الأمير عبد القادر الجزائري،" ذكرى العاقل و تنبيه الغافل"، تح ممدوح حقي دار اليقظة العربية للنشر، د ط.
7) بهيجة مصري إدلبي، " السيرة الذاتية في الخطاب الروائي العربي"، الأردن الوراق للنشر والتوزيع، ط1، 2011.
8) حنا الفاخوري، " الجامع في تاريخ الأدب العربي القديم"، دار الجيل، بيروت لبنان، ط1، 1982.
9) الدراجي بوزياني، "نظم الحكم في دولة بني عبد الواد الزيانية"، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، د ط، د ت.

10) سـليمان بـن عبـد الله البـاروني، " الأزهـار الرياضـية فـي أئمـة وملـوك الإباضـية"، تـح أحمـد كـروم، دار البعـث قسـنطينة، الجزائـر، ط3، 2002 ج2.

11) سـيد إبـراهيم آرمـن، " السـيرة الذاتيـة وملامحهـا فـي الأدب العربـي المعاصـر"، تـر وتـق،عمر حلـي، بيـروت، الـدار البيضـاء، المركـز الثقـافي العربي 1994.

12) شـعبان عبـد الحكـيم،" السـيرة الذاتيـة فـي الأدب العربـي الحـديث"، الـوراق للنشر والتوزيع عمان، ط1، 2015.

13) عبـد الحميـد حاجيـات، " أبـو حمّـو موسـى الزيـاني، حياتـه وآثـاره"، الشـركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط2، 1982.

14) عبـد الرحمـان محمـد بـن خلـدون، " كتـاب العبـر وديـوان المبتـدأ والخبـر فـي أيـام العـرب والعجـم والبربـر ومـن عاصـرهم مـن ذوي السـلطان الأكبـر المقدمـة" دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1993.

15) علـي بـن عبـد الله بـن أبـي زرع، "الأنـيس المطـرب بـروض القرطـاس فـي أخبـار ملـوك المغـرب ومدينـة فـاس"، صـور للطباعـة والوراقـة، الربـاط، المغـرب الأقصى، د ط، 1972.

16) علـي محمـد الصـلابي، " دولـة الموحـدين، سـقوط الأنـدلس الاسـلامية ومحاكم التفتيش البربرية"، مؤسسة اقرأ للنشر والتوزيع، القاهرة،ط1، 2007.

17) عمـرو بـن بحـر الجـاحظ، " رسـائل الجـاحظ، الرسـالة السـابعة، كتـاب الفتيـا" تح محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1،2000، ج1.

18) فـوزي محمـد أمـين، " أدب العصـر المملـوكي الأول، ملامـح المجتمـع المصري"، كلية الآداب، جامعة الاسكندرية، دار المعرفة الجامعية، 2012.

19) كمـال عبـد اللطيـف، "فـي تشـريع أصـول الاسـتبداد"، دار الطليعـة، بيـروت 2000، دط.

20) مجـد الـدين محمـد بـن يعقـوب الفيـروز أبـادي، " القـاموس المحـيط ".تـح مكتبة التراث في مؤسسة الرسالة، بيروت،ط1، 2005.

21) محمـد البـاردي،" عنـدما تـتكلم الـذات، السـيرة الذاتيـة فـي الادب العربـي الحديث"، إتحاد الكتاب العرب،دمشق،2005.
22) محمـد بـن عبـد الله التنسـي، "تـاريخ بنـي زيـان ملـوك تلمسـان"، تـح محمـود بوعياد، المؤسسة الوطنية للكتاب- الجزائر، د ط، 1985.
23) محمـد بـن منظـور الإفريقـي المصـري،" لسـان العـرب"، درا صـبح واد يسوفت، بيروت، لبنان، ط1.

ثالثا: المراجع الأجنبية المترجمة

1) أندريـه مـورا،" فـن التـراجم والسـير الذاتيـة"، ترتـق تـع أحمـد درويـش، المجلـس الأعلى للثقافة،1999.
2) دوايـت راينولـدز،" ترجمـة الـنفس، السـيرة الذاتيـة فـي الادب العربـي "، تـر سـعيد الغانمي هيئة ابو ظبي للثقافة والتراث، ط1430،1هـ،2009م.
3) فيليـب لوجـون،" السـيرة الذاتيـة ، الميثـاق والتـاريخ الأدبـي "، تـر وتـق عمـر حلي،بيروت، الدار البيضاء، المركز الثقافي العربي 1994.

رابعا: الرسائل الجامعية

1) آمنـة نـوري،" بنيـة الخطـاب فـي شـعر أبـي حمـو موسـى الزيـاني" ، مـذكرة مقدمـة لنيـل شـهادة الماجسـتير فـي الأدب المغربـي القـديم ،جامعـة الحـاج لخضـر باتنة، إشراف السعيد لراوي، السنة الجامعية2009-2010.
2) مسـعود بـن سـاري،" صـورة السـلطان فـي الأدب الجزائـري القـديم "، أطروحـة مقدمـة لنيـل شـهادة دكتـوراه فـي اللغـة والأدب العربـي، تخصـص الأدب الجزائـري القديم،جامعـة قاصـدي مربـاح ورقلـة، إشـراف الـدكتور مشـري بـن خليفة، السنة الجامعية 2013-2014.

خامسا: المجلات والدوريات

1) الآداب السلطانية، مجلة سلسلة عالم المعرفة الكويتية، ع 324، 2006.

2) الراعـــي والرعيـــة فـــي الآداب الســـلطانية، جريـــدة الإتحـــاد، ثقافـــة وفـــن، www.alitihad.com.

3) السـيرة الذاتيـة فـي الأدب العربـي القـديم ، نحـو تـأطير جـنس أدبـي، علامـات ج14 (1415هـ-1994م).

4) في نظرية الرواية، سلسلة عالم المعرفة، ع 240، الكويت، 1998.

5) لعبة الضمائر والسرد، مجلة أقلام الثقافية www .aklaam.net.

6) المثقـف والسـلطة مـن خـلال الآداب السـلطانية، المحـور، مواضـيع وأبحـاث سياسية، ع 3678، 2012.

7) مجلة فصول الهيئة المصرية العامة للكتاب، م 16 ع1 ربيع 1998.

الفهـــرس

مقدمة.....أ

مدخل: السيرة الذاتية(ذاكرة المصطلح)

أولا: إشكالية مصطلح السيرة الذاتية.....5

أ-لغة.....5

ب- إصطلاحا.....5

ثانيا: الأصول الأولى لتسمية السيرة الذاتية.....7

1- الأخبار (المرويات).....7

2- المغازي.....7

3- الحديث.....7

4- البرنامج.....8

5- الفهرست.....8

6- المناقب(الفضائل).....8

ثالثا: نشأة السيرة الذاتية وتطورها.....9

الفصل الأول: مفاهيم السيرة الذاتية

أولا: السيرة الذاتية في الأدب العربي القديم.....15

ثانيا: دوافع كتابة السيرة الذاتية.....18

1- اللذة الفنية المتمثلة في فعل الكتابة.....18

2- دافع النرجسية.....19

ثالثا: شروط كتابة السيرة الذاتية.....20

1- تميز صاحب السيرة الذاتية.....20

2- عدم الالتزام بسنن معينة عند الكتابة.....21

3- أن يكون للسيرة بناء واضح المعالم.....22

4- تواجد الصراع في السيرة الذاتية.....23

5- محاولة الصدق والأمانة.....23

رابعا: الخصائص الفنية للسيرة الذاتية.....24

1- العناصر المنتمية لداخل النص.....24

أ- ضمير المتكلم (أنا المؤلف الحقيقي، أنا السارد).....24

ب- ضمير الغائب (هو المؤلف، هو السارد).....25

ج- ضمير المخاطب.....25

2- العناصر المنتمية لخارج النص.....26

خامسا: أشكال السيرة الذاتية.....27

1- الشكل المقالي.....27

2- الشكل التأريخي.....27

3- الشكل الروائي.....28

سادسا: في الأدب السلطاني.....29

1- نظرة عامة حول هذا الأدب.....29

2- شرعية المصطلح (الأدب السلطاني).....36

الفصل الثاني: تجليات الذات في كتاب " واسطة السلوك في سياسة الملوك "

أولا: سيرة " أبو حمّو موسى الزياني ".....39

ثانيا: ملخص كتاب " واسطة السلوك في سياسة الملوك".....45

ثالثا: إحـــالات الأنا..... 48

1- ضمير المخاطب.....48

2- ضمير الغائب.....56

3- ضمير المتكلم.....57

4- جمالية الإيقاع.....59

الخاتمة.....65

قائمة المصادر والمراجع.....67

الفهرس.....72

الملخص:

هذا البحث تناول إشكالية « ملامح السيرة الذاتية في كتاب " واسطة السلوك في سياسة الملوك" لأبي حمّو موسى الزياني الثاني»، جاءت دراستنا محاولة لاستقصاء كل ما له علاقة بالسيرة الذاتية، وما حقق مشروعيتها ، من خلال البحث في وجودها، مميزاتها، أشكالها وبواعث كتابتها، وزعنا هذا البحث على فصلين تقدّمهما مدخل مفاهيمي.

السيرة الذاتية موجودة منذ القدم، وهي جنس أدبي مستقل بذاته، وجسد كتاب " الواسطة " الملامح السيرية من خلال جملة من الأطياف مثلها "أبو حمّو" السلطان الأديب، والشاعر والفقيه، والتي كشفت لنا كل ما يتعلق بالسلطان وما يجب أن يكون عليه، كما رسمت لنا صورة السلطان الزياني الأب الذي أراد رؤية خُلوده في ابنه "أبو تاشفين".

الكلمات المفتاحية: الأدب – السيرة – السلطان – الشعر – الفن

***Résumé*:**

Cette recherche portait sur le problème des «profils biographiques dans le livre "Wassitat Al-soulouk Fi Siyassat Al-moulouk" à Abu Hamo Musa Al-Zayani second», notre étude était une tentative d'enquêter sur tout ce qui concerne biographique, et a obtenu la légitimité, par la recherche dans son existence, ses avantages, ses formes émetteurs écrits et distribués cette recherche sur les progrès de deux entrée conceptuelle.

Le CV existait depuis les temps anciens, un genre autonome, et le corps du livre " Wassitat " dispose biographique à travers une série de spectres comme " Abou Hammou " Sultan écrivain, poète et al-Faqih, qui nous a révélé tout au sujet du Sultan et ce qui devrait être ainsi, nous avons peint une image du sultan Al-Zayani père qui voulait voir son fils dans son immortalité " Abu Tachfin ".

Mots-clés: Littérature - CV - Sultan - Poésie - Art